(هذه رچتة العوام)

المنـــاظرات
و
الخـــطوات
الـــسّـــتة

لبديع الزمان
سعيد النورسي

المناظرات

ملاحظه:

هذا الأثر "المناظرات" من تأليف الاستاذ

بديع الزمان سعيد النورسي نشر في سنة ١٩١١

باللغتين العربية والتركية

– الناشر –

معذرة طويلة الأذيال

أيّها الناظر إلى آثاري!

إنّ من ترجّحت حسناتُه سيّئاته، و صوابه على خطأه يغفر.. فقد أجبرني الإنقلابان على تأليفين مشوشين تركيتي القد. وبعثني الرحلتان على كتابين عربي القامة. و آخرين تَتركا و آخر كرد مثلي!

فكما يتراآى من كل طراز العربي، كذلك يناجي من تحته أذيال الكرد، ويتناجى مع الناظر تحت تلافيفه مطارف الترك.. فاعذروني في داته وصفاته!؟ فما علمك بتأليف هكذا عجيب الشكل! وكان من حقى السكوت، لأن العجز يقعدني.. وإني لأعلم أن آثاري ليست بجديرة للرغبة؛ إلا أن الهمة الناشئة مما ترنّم به و نعى على نوع البشر و رثّى له "سعدي الشيرازي" بقوله:

غرض نقشيست كه از ما باز ماند، كه هستيرانم يابم بقائى

وإن الأمل بأن أصير مثال إمتثال للجسارة على الخروج إلى ميدان الحمية، بإزالة حجاب الحياء والتخوّف عن

أمثالي ممن لا إقتدار لهم. و أن ملاحظة إحتمال الرغبة "بالعنتيقية" في صدور أثر- ولو جزئيًا- عمّن يستغرب مثله من مثله، قد شجعتني هذه الثلاثةُ على التأليف.

فيا أيها الناظر! إني لست بغافل عن أن أثري كما يكسر الحقيقة، يمزّق النظم.. و كما يشوّش الأسلوب، يفرق الخيال.. و كما يتعسّف بالحس، يتورط في الإفراط. ولكن ما تيسر إلا هكذا!.. لأن الشوق المتولّد من الانقلاب "التمّوزي" الذي أدخل عصرًا في سنة، واستجر إلى نفسه خيالي من القرون الوسطى متدحرجًا على قرن قرن، آخذًا من كل عصر حسًّا و تأثيرًا. ثم الهم أول تأليفي. وإن الهيجان المنتج من الاختلال "المارتي" الذي صيّر الدوائر طبقات البشر المتداخلة المتسافلة هرجًا و مرجًا بلا صورة، والذي أكمل تأليفي الذي ترامي من جانب العدم إلى الوجود، من باب دار الشفاء بسبب لطم حكماء العقل، وبتضييق الاستبداد المجنون. والذي أجبرني على إبرازي لـ"شهادتنامة لمكتبي المصيبة" وإن الدرس والأمر الذي أعطاني فكر الملية المتضمّن لحس الإسلامية.. والذي

تمخض من حسيات مختلف الأنواع، وطبايع متنوّعة الطبقات.. والذي أخذ بيد هذين الرجتتين إلى الوطن الذي صار دار المرضى، لاتنتج إلا نتائج هكذا مشوشة.

فثبت أن كلا من تأليفاتي كأنه فهرستة لاعصار، و فذلكة لطبقات حسيات، وأنموذج لطبايع طوائف الأكراد، وعنوان لأطواري المختلفة..

فإذا لا تعبثوا بالبحث عن الانتظام الحقيقي فيها،فإنه عبث. و مع كل ذلك للتشوّش سبعة أسباب أخر:

الأول: من أول صباوتي إلى الآن تتفاوت حالي، فهما كأني أكون في حين على رأس المنارة، وفي وقت في قعر البئر.. وكم من حقائق هي أحبتي وعرفني؛ تصير أجنبية أنكرها في آن.. ثم في حين آخر تجئ الحقيقة الدقيقة التي ما سمعت باسمها إلى يدي بلا دعوة. وكما أكون أجهل من "بَاقِلِ" قد أظن نفسي في السياسة كـ"سَحْبَانِ"..

الثاني: قد كنت عجميًا في

الإنشاء، وأمّيًا في الكتابة إلى أن تلمذت عند المشروطية، فهي التي درستني وأجازتني.. فالثمار في جِنَانِ الجَنَانِ ما أينعت، فاقتطفتها وهي حِضرِمٌ، فإن تخمضت عليكم فلا تعبسوا قمطريرين.

الثالث: إني اضطررت على الطفرة في التزلزل والتصنع والتشتت مع الأهلية الكاذبة الناشئة عن العجز بوظيفة مهمة حملتها على كاهلي الشهرةَ الكاذبةَ الناشئةَ من التوجّه العمومي الذي لست مستحقاً له..

الرابع: إن ما فيّ من الغرور فطرة، والفخرية ملية، وتحديث النعمة مسلكًا، وميل التفوّق مشربًا، وميل التجلد قومية؛ تظهر للأحوال الناظر في آثاري فوق الحقيقة أنانيةً وتعزّزًا..

نعم فيها أنانية، إلا أنها ليست لي، بل أنانية ملّتي ونوعي.. نعم فيها تعزز وتأمر ولكن ليسا لي، بل عزة صنفي ملائكة المدارس..

الخامس: إني أتصوّر كُرْدِياً، ثم أتكلم عربيًا أو تركيًا.. فيقعد في مطبعة الخيال مترجم عجمي.. فكما قد لا يتفهم

ما يتكلم القلب؛ قد لا يعرف لسان اللسان حتّى يأخذ من ذا، و يعطي ليد ذا..

وإني كما لا أعرف روابط التركي صرفاً ونحواً، ليس لي سليقة في روابط العربي.. فلهذا صار ما ألبست على قامة المعاني، وخططت لها من الأساليب مشوّسة الأزرار..

حتى إن تكرر "أوت، ايشته، هم ده، زيرا، شو، بو" وأن تكرار "نعم، إلا، أن، ثم، ف، الذي، ذلك" إلى آخره!.. قد ملتني كما ملّتكم. مع أني لا أرضى بتصحيح الغير، لأنه كما لا يناسب بل يستثقل تعليق شرابة طربوش الترك بكلاحي؛ كذلك كلمة الغير لا تأتنس مع كلماتي، بل تتوحش منها نافرة..

السادس: إن تداخل الخطأ من طرف إفراط فطرتي إلى تفكري، وإلى ترجمة المترجم الخيالي، وإلى إملاء الخطاط، طبع الطابع، وإلى فهم المطالع؛ كثيرًا ما يشوّه حقيقة حسناء.

السابع: إن هاتين الرّسالتين اخضرتا واستوتا على ساقيهما وأثمرتا في مقدار أربعين يوماً وقت سياحتي التي رمتني الجبال إلى أيادي الأوادي، فتلطم بي أيادي الأوادي وجوه البيادي.. فاقتطفت الحمية الإسلامية والحمية الملية تينك الثمرتين، والثمر حِضرِمٌ من رؤوس الجبال. أو من التي تناثرت في الأوادي.. فأرسلتاهما للدّواء إلى سوق مدينة المدنية!.

حتى أن قسمًا من تلك الثمرات أثمرها "جبل باشيد" وبعضها منها فاكهة صحراء "فرّاشين" وطائفة منها مما احمرّت في وادي "بيت الشباب"

فاعلموا أني لمّا ألفت هذين كتابين؛ كان الزمان قصيرًا، والمكان وحشيًا، والذهن مشوشًا، وهذا الفقير سياحًا، والجسم نصف مريض، والكتابة مستعجلة.. فبالضرورة يكون مشوشين.. مع أن تعريب "رچتة الأكراد" كان في "دمشق شام" معدن الحقيقة الراسخة مقدار خمسة أيام!..

فيا أهل الإنصاف! هذه معذرة مني إليكم، فإن تقبلوا أيها الكرام فإنما تمثّلون أمر الإنصاف.. وإن لم تنظروا بعين الرضى فإليكم عني ولا أبالي بردكم، فلتكن منتكم على

عتبتكم. إني ما ألّفت لأحسنه في عينكم وأتصنّع لكم، بل لخدمة الحق ليس إلا.. فإن رحبت به الحقيقة فحبذا ونعمت..

ثم إن هذه الرسالة العربية، ترجمتها من التركية التي من ترجمتها من الكردية التي ارتجلتها لأسئلة الأكراد البدويين، فالمترجم من المترجم من المرتجل من امّى لبدويين لايتملس ولايتخلص من خشونة في المعنى واللفظ.

"نعم، ليس الكحل كالتّكحل" من استمع فليرسل مسافرة روحه إلى جسد بدوي ليتلقى هذا الكلام بخيال البدوي!. من لم يتكرد ولم يتوحش فلا يحل له الاستماع ولا يحلو له السماع.

أبو لاشيء
سعيد

❁❁❁

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

وَ بِهِ نَسْتَعِينُ

وَالصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عَلَى سَيِّدِ العَالَمِ!..

فاعلموا أني لما سافرت ثاني سنتي المشروطية، قافلاً من العصر الذي يتمثله إستانبول، منحدرًا إلى القرون الوسطى، متجوّلًا بين عشائر الأكراد، مترحّلاً من بستان الربيع "رِحلَةَ الصَّيْفِ" إلى الخريف، متنقلاً "رحلة الشتاء" في البلاد العربية؛ إتخذت من الجبال والبيد مدرسة درست فيها المشروطية لهم. فحينئذ تراءى لي من شبهاتهم أنّهم تصوّروا المشروطية بصورة غريبة، واطّلعت من أغلب شبهاتهم وأسئلتهم على أنها من واد واحد. فقلت "فاسألوا!" حتى يداويه جوابي، فاستصوبوا.. لأن طبيعتهم التدرّس بالمناظرة والمناقشة.

فتعميمًا للفائدة كتبت أسئلتهم معانقة بأجوبتي حتى توازرها، فينطق كتابي بدلًا عني، ويشافه الأكراد وأمثالهم الذين ما رأيتهم، وليترجم بلسان الأسئلة عن الذين لا

يطيق لسانهم إظهار ما في ضمائرهم. أعني هذا الكتاب يجيب بدلاً عني، ويسأل بدلاً عنهم. ويعاون أطباء السياسة على تشخيص العلة .

أيا أهل الحمية! أنبّهكم على أن الأكراد وأمثالهم صاروا ويصيرون أهل المشروطية فكرًا.. ولكن بعض المأمورين لا يتمثلون الشورى فعلًا، وهذا أشكل من ذاك. مع أن مدرس العوام الذين عقولهم في عيونهم "الفعل".

فها أنا أشرع فى الأسئلة وأجوبتها:

س: أيها الأستاذ! ذهبت إلى الإستانبول و رأيت انقلابًا عظيمًا واقتحمت وقائع مهمة.. فأي هدية جئتنا بها من ذلك السوق العظيم؟.

ج: البشارة!.

س: كيف البشارة، وقد قيل فانذروا ففيه ضرر؟!

ج: حاشا! النور لا يثمرالضرر إلا للخفّاش أو الجيفة. إني أنادي بحيث أسمِعُ الدنيا، أن سعادة الإسلام قد تنفّس فجرها الصادق على رغم أنف أبي العلاء المرعي.. ولو

احترق مع الظلمات نصف هذه الملة لما كانت غالية..

س: فيا سبحان الله ما سمعنا هكذا؟!

ج: نعم للشياطين أعوان سبقونا إليكم.

س: فحينئذ أجب على شبهنا وأسئلتنا حتى تزول عنا الوساوس؟!

ج: "على الخبيرسقطتم" إلا أني لا أبيع مالي، إلا لمن طلب إشترائه وعرف قيمته.

س: ما الاستبداد، وما المشروطية ؟ و أخر: ما الاسترداد وما المشوريط؟ وأخر: كيف ترأس الأرمنيون وتسفلنا، كيف غير المسلم عسكر؟ وأخر: ما الحرية؟ وأخر: للدين ضرر؟ وأخر: الجون ترك كذا وكذا، نخاف أن يضرّونا؟ وأخر وأخر إلى أخرِ ما أكثر الخلط واللغط والغلط..

ج: كيف أجيب عن هذه الأسئلة المشتبكة التي تمثل عدم انتظامكم..

س: فإليك تعيين القاعدة.

ج: عليكم بقانون المشروطية. أي فانتخبوا واحداً أو اثنين ليسئل وأنتم تسمعون.

س: فإذاً ما الاستبداد، وما المشروطية؟

ج: الإستبداد هو التحكّم، أي المعاملة الكيفية، أي الجبر باستناد القوة، أي الرأي الواحد، أي المساعد لتطرق سوء الاستعمالات، أي المفتوحة أبوابه لتداخل المفاسد، وما هو إلا أساس الظلم وماح للإنسانية. و هو الذي أوقع العالم الإسلاميّ في المذلّة.. وهو الذي أيقظ الأغراض والخصومات. وهوالذي سمّم الإسلامية. وهو الذي سرى سمُّه في أعصاب العالم الإسلامي.. وهو الذي أوقع الاختلافات المدهشة..

حتى أن الاستبداد العلمي الذي هو ولد الاستبداد السياسي، و والد التقليد، هو الذي أنتج "الجبرية والمرجئة والمعتزلة والرافضة" و أمثالها من فرق الضلالة!..

س:يا للعجب ما ظننّا أن الاستبداد هكذا سمّ قاتل، فللّه الحمد قد تمزّق.. فإذًا ما أحوجنا إلى تفسير ترياقه الذي

هو المشروطية.

ج: إني لا أفسّر لكم المشروطية التي علّمكموها أفعال بعض المأمورين، فإن فيها خطيئات لعدم الألفة. ولا التي تفهّمتموها من الحال الحاضرة، فإن فيها تشوّشًا للشّدّة.. بل أكشف لكم عن وجه المشروطية التي هي هدف مقصد الحكومة! فإذًا المشروطية مجلّى و تفسير لآيتي ﴿وَ شَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ* وَ أَمْرُهُمْ شُورٰى بَيْنَهُمْ﴾.. فهي "المشورة الشرعية". فقوّة ذلك الوجود المنوّر هي الحق.. وحياته هي العدالة.. و قلبه هي المعرفة.. و لسانه هي المحبة.. وعقله هو القنون لا الشخص!..

أجل! إن الشورى حاكمية الملة، فأنتم أيضًا صرتم ملة حاكمة!. وهي السبب لسعادة الأقوام، فكذا انفتح لكم باب السعادة!. و هي الموقظة. للحسّيات العالية والمنتبهة للأشواق الملتهبة؛ فتنبّهوا أنتم أيضًا، فما أطال نومكم!؟ وهي التي تنقذ الإنسانية من الحيوانية، فصيروا أناسيّ.. وهي التي تفتح بخت الإسلامية، و تكشف طالع آسيا؛ فاستبشروا هي ماء الحياء فتعطي لنا عمرًا أبديًا مدّة بقاء

الملة، فلا تيأسوا!. هي التي قلبت الرأي الواحد الاستبدادي الذي يستعد لأن يتزلزل كالخيط الدقيق بهبوب الهواء والهوس؛ محوّلة له إلى الأفكار العامة التي كالعمود الحديدي لاتتزلزل، وكالسيف الألماسي لاتتفلل؛ فاعتمدوا كراكب سفينة نوح!.. هي التي تصير كل أحد في عالمه كسلطان حر؛ فصيروا سلاطين بحب المشروطية والسلوك عليها!. هي التي تعتق وتحرر أساس الإنسانية الذي هو الجزؤ الإختياري؛ فلا ترضوا أن تكونوا جامدين!. هي التي تصير ثلاث مأة مليون من الإسلام كعشيرة مرتبط بعضها ببعض، فحافظوا على تلك الرابطة. لأن المشروطية رفعت الحجاب فتنفّست المليّة متحركة، فتلثلأت الإسلامية مهتزّة.

أجل! مليّتنا مثناة من الحقيقي والنسبي فما أحكامها!.

س: قد ادعيت دعوى فاستدل؛ ما الدليل على قبح الاستبداد بتلك الدركة، و على حسن المشروطية بهذه الدرجة؟.

ج: فلأنكم عوام تتفكّرون بخيالكم، و تعقلون بعيونكم؛ يكون التمثيل أحب إليكم من البرهان النظري. فعليكم

بمثال ماهية الاستبداد، والشوراء.

إعلموا: أن الحكومة كالحكيم، و الملة مريضة. فافرضوا أني حكيم جالس في هذه الخيمة؛ و في هذه الجوانب -لا سامح الله- أمراض مختلفة في كل قرية نوع.. وأنا ما تشخّصت تلك العلل، وما رأيت غير المداهنين الذين لا يريدون تعجيزي.. فعلى هذا الحال، إذا أرسلت علاجًا بلا ميزان، ورچتة لمريض ما رأيته، لمرض ما تشخصته؛ يا للعجب! أيشفى المريض، أم يزوره الموت.

نعم، بهذا التداوي تجلى فيكم سر **"مُوتُوا قَبْلَ أنْ تَمُوتُوا"** أجل، إذا اشتكى الكردستان وجع بطنه بداء الجوع، فأرسل الحكيم جمغ الإعانة الذي هو علاج هضم الطعام.. أو اعتلت الأكراد ملتهبًا وجودها بداء الخصومة و الشقاوة؛ فعالجهم الحكيم بما يزيد الإلتهاب، كإجراء عساكر الآلائية الذي يقوي الاستبداد المتوزعة وهلمّ جرًا!. عجبًا أهو مداواة، أو تسميمٌ وإعانة لملك الموت؟ هذا، هو التمثال الظلماني للإستبداد. لإن السلطان في الزمان السابق كان كالمحبوس في منزله، ما كان يعرف حال الملّة..

أو بسبب ضعف القلب وقوّة الوهم ما أحبّ أن يعرف.. أو بسبب التهوّس والتقلقل ما كان مساعدًا لأن يعرف. فقس سائر الاستبدادات على هذا الاستبداد السياسيّ!..

حتى أن الاستبداد العلمي المولد للتقليد المنتج للإختلافات في المقاصد، منخرط في ذلك السلك!.

أما التمثال النوراني للمشروطية التي تتوجه إليها الحكومة الإسلامية ولابد، أي ولابد البتة أن لا تتوجّه إلا إليها. فاحسبوا أني حكيم وهذه الخيمة السوداء "أجزاخانة" (أي صيدلية) تربعت فيها، و يتسارع إليّ من كل قرية فيها المرضى منتخب. قد رآى المرضى وتشخص الأمراض المتنوعة برجتة.

مثلا، تتعلل صحيفة أحدهم بأنه: "يجع رؤسنا بداء الجهل" وأنا أعطيهم آفيون الفنون المدنية أولاً في ظروف لسانهم، وآخرًا في مجاري اللسان الرسمي.. والآخر يتكلم مكتوبه بأن " القلب مريض بضعف الديانة" فأنا أمزج الفنون الجديدة بالمعارف الإسلامية، فأصيرها معجونًا، فأعطيه لأيدي المدرسين العلماء فأرسلهم إليهم.. وفي رسالة آخر

اشتكي "بأنا محمومون بداء الخصومة والإختلاف" فأنا أوقظ فكر الملية و أنوّرها، وأمزج بحرارة ذلك النور ترياق المحبة والعدالة والشفقة على الجنسية، فأعطيهم من ذلك علاج الحمية..

أيها السائل! هذا هوالحكيم الذي ينقذ الأطفال الأيتام الفقراء من الهلاك في دار الشفاء "أي الوطن". فبحكمة "كُلُّكُمْ رَاعٍ وَ كُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ" لا بدّ أن يكون هذا القانون نصب العين لكل رئيس!.

س: الدواء دواء، لِمَ قُلْتَ أنه قد ينقلب سمًّا؟!

ج: دواء داء بالنسبة إلى داء آخر قد يصير داءٍ، و بتجاوزه عن حدّه قد ينقلب سمًّا..

س: قد استسمنت ذا ورم!. ألا ترى أن الحكومة الحاضرة تشابه السابقة في كثير من السيئات وفي الظلم وضعف القوة.. فالمشروطية التي تفسرها ما سَلَّمَتْ علينا، حتى نقول لها أهلا و سهلا ومرحبا؟..

ج: لا؛ بل استسقيتُ اسكوبًا، واستسعيت يعبوبًا، واستحسنت

حوراء، ومدحت حرية حرة حورية.. إلا أنها لما خافت من جنونكم ما جائتكم!.. فالظلم ليس من خطأ الشورى، بل الظلم من ظلمة الجهالة التي في رؤسكم. إذا ما عرفتم ما حاكمية الملة، فجهالتكم تصير أهل الحمية مستبدين، وبالجهالة تطولون الطريق القصير على أنفسكم.

مثلا، لو قيل لك: **"أرني أذنك"** ، تدور يدك من خَلْف عنقك إلى أذنك.. فيا عجباً، لو هيّأ "گودانْ ومامخوران وهاجان" الأموال الأميرية التي هم على كل حال مجبورون على إعطائها قبل مجيء العساكر، أهكذا يقع الظلم والتجاوز!. كلاّ! وأيضًا تقولون هذه الحكومة كالسابقة ضعيفة..

نعم يتشابه الصبي الذي أخذ تسع سنين، والشيخ الذي طعن في تسعين سنة في الضعف وعدم القوة؛ لكن إن هذا يتوجّه متقوّسًا منحدرًا إلى القبر وذلك يترعرع متصاعدًا إلى الشباب.

س: لأي شيء لم تتشيد الحكومة، ولم تصفي السياسة.. إن الحكومة متمايلة، والسياسة متكدرّة؟

ج: كيف تعمر دفعة القلعة التي تمايلت إلى الخراب، و تساقطت من مئات من السنين؟ فتأملوا إذا كان في رأس العين المتشعبة كثير من القاذورات المتعفّنة والمتسمّمة الواقعة من زمان مديد، فأريد تصفيتها وقلب رأس العين الممدّة إلى حوض مستمد.. أفلا يجري مائها في مقدار من الزمان متغيرًا؟..

فإذًا، لا تتكدروا باليأس! إن العاقبة للصفاء الذي يغسل همكم فتشربون هنيئاً مريئاً..

س: كم جاءتنا من محاسن المشروطية وخدّامها التي تعرفها، ولم لا تجيء مع حشمها؟.

ج: جاء من العشرة واحد. لأن المشروطية الناعمة المتمدّنة لا تتجاسر بسلامة الأمير من ذئب الخصومة، وحيّة الجهالة ودب الوحشة أن تمر في أوديتكم العميقة المنبتة للخصومة، وعلى جبالكم الوعرة التي هي المرعى للجهالة والوحشة، وتصل إليكم فتزوركم.. فأمنوا الطريق بدفع تلك الحشرات! فإن تبطأتم وتكاسلتم وما هيأتم لها طريقًا أمينًا؛ ما نظرتم إلى جمالها إلا بعد سنين كثيرة.. لأن

المسافة التي بينكم وبين إستانبول وإن كانت مقدار شهر إلا ان بينكم وبين اهل المشروطية ألف شهر.. لأنكم تشبّهون الخلق الذي في زمان آدم، وقتما طلعوا إلى الوجود؛ لوقفوا، فيدوسهم المارّون.

وأيضًا أن الشورى الناعمة المتنعمة لو خصلت بنفسها عن الثعابين التي في حوالي إستانبول، ومرت على هذه المسافة العظيمة؛ لا بد أن تقطع الأرض المتوخمة المتعفنة بتشرب الجهالة.. وتمر في الوحول المغرفة والرمال الموحشة بالفقر.. وتمرّ على الجبال المحجرة المحدد حجارتها بالخصومة!. ومع كل ذلك، تصادف بعض أهل الغصب والغارة.. منهم من لم يهضّم جزائه الذي لم يستحقه.. و منهم من يتسمّن ويتكبّر بأكل لحم الغير.. ومنهم من يتفهم الحقائق الإسلامية كفهم البيطاشي المشهور، المتعلّل عن ترك الصلاة بقوله تعالى:

﴿ لاَ تَقْرَبُوا الصَّلاَةَ ﴾ ومنهم من يريد أن يمزّقها محتجًا بعدم المركزية السياسة..

فإذا كان هذا هكذا؛ فيا أهل الحمية! اتخذوا طريقًا كالسّكة

الحديدية لحاملة سعادتكم، أو سفينة طيارة في سماء السياسة بمواد الفنون..

س: كثرة تلك الموانع توقّعنا في اليأس؟..

ج: اليأس ينشأ من العجز، واليأس مانع لكل كمال!. الحمية هى تشدّد المتانة عند تشدّد الموانع.. مع أن هذا الزمان يستنزل الموانع العادية إلى درجة الإمكان.. وما أظهرت الموانع إلا تحريك حميتكم وإخلاصكم من الكسلان.. وما عرفت أن حميتكم هكذا ضعيفة، تنقلب بالسرعة إلى اليأس الأعمى المعمى. فإن أردتم أن تسلّم عليكم الشورى في زمان قريب؛ فعليكم بمعدن المعرفة و الفضيلة! فاصنعوا منها سكّة حديد، حتى تركب المشروطية مع استصحابها لبذر الترقيات في شمندوفر الكمالات التي تسمّى مدنية، فتسلم عليكم بأقرب الزمان. فعلى مقدار استعجالكم للطريق، تتعجّل هي أيضًا..

س: إنشاء الله إن كان لنا طالع نتشرّف بطلوعها، أليس التوكّل بكاف؟

ج: نعم، لكن عليكم أن تعينوا طالعكم الفقير، لا تكونوا كالطرار البغدادي وتنابله! أن التوكل بِرَدِّ نظام الأسباب، ردّ للمشيئة النظامة. فتوكّلكم يرجع على نفسه بالنقض.

س: نرى الحسنات والسيئات؛ فأيتها فاضت من الشورى النيرة، وأيّتها تولّدت من جيفة الاستبداد؟..

ج: الحسنات من ضياء المشروطية؛ والسيئات إما من ظلمة الاستبداد السابق، وإما من ظلم الاستبداد الذي تلبّس باسم المشروطية تخلف ليودع وليعزى، ثم تعقّب إيّاه في الفناء. فاطمئنوا إن العاقبة لغلبة الضياء ولو بعد حين!..

س: دق استعظمت المشروطية كثيرًا، و أفرطت في الأطراء!. وما هو إلا أن في السابق كان الرأي واحداً والملة ساكتة. والآن الشورى؛ الملة تسأل وتسئل، هذا القدر فقط. فما هذه الزوائد التي تعلقها بها؟

ج: لأن نقطتي الشورى والسؤال تتضمّنان كل زوائدي. لأن الشورى لما تجلت في الحكومة؛ أوقعت بفكر الحرية في كل نوع نوعًا من الشورى، حتى في العلماء والمدارس

وطلبة العلم إلى آخره.. نعم كوشفوا ملهمين الاحتياج إلى الشورى في مسالكهم..

نعم، هذه اللمعات التي تلوح من بُعدٍ إلى شمس السعادة هي التي حببت المشروطية السياسة إليّ.. وعندي أن الذي أسّس أساس التقليد، المنتج للإختلافات في المقصد المولدة لفرق الضلالة في الإسلامية ك"الجبرية، والمرجئة والمجسّمة" وأمثالها؛ ما هو إلا الاستبداد العلمي في المسائل الدينية، والإطلاق في المقيد..

فإن تأسّست الشورى العلمية بحقها، مع إمداد ميل تحرّي الحقيقة، ومعاونة الفنون الصادقة، ومصافاة الإنصاف؛ لاريب أن تلك الفرق يلتحقون ويتّحدون بأهل السنة والجماعة..

فلا تحسبوا أن تلك الفرق ليس لهم تحزّب الآن؛ كلاّ قد تحلّلوا فينا منبثين، مع أنه ما من أحد إلا وفيه ميلان ما إلى ما مالوا إليه.. ولو أنحل دماغ أحد وتجسّم المعاني، لرأيت تلك الفرق يتمثّلوا متحزّبين في ميولاته في مجلس دماغه، هذه قصّة يضيق المقام عنها..

س: ما الحكمة في تساقط كثير من رؤساءنا ورؤسنا مع استحقاق البعض، ولم يسمعوا إلا اسم الشورى بلا تأثير مادي.

ج: إن لكل زمان حكمًا، ولكل وقت حاكمًا، وفي اصطلاحكم آغاءً؛ يحرّك ماكينة الهيئة الاجتماعية.. فاعلموا أن الحاكم المعنوي في الاستبداد كان هو القوة ليس إلا.. فمن كان سيفه قاطعًا، وقلبه قاسيًا ترقى..

و إنّ الحاكم في المشروطية وزنبركها، وروحها، وقوّتها وآغائها ليس إلا الحق، وإلا العقل، وإلا المعرفة، وإلا القانون، وإلا الأفكار العامة!.. (أعني الرأي العام!) فمن يكن عقله صارمًا مهنّدًا، و قلبه حارًّا منوّرًا هو يترقّى!..

فيا أيّها الأكراد! إن كان كبيركم استند بالقوّة واهتم بتصقيل السّيف فقط، واستتبعت حسياته أفكاره؛ فبالضرورة يسقط ومستحق.. وإن استند على العقل، واستخدم المحبة في موضع الجبر، واستخدمت أفكاره حسياته؛ ففضلاً عن عدم السقوط يترقّى..

س: لأي شيئ أوقع الانقلاب السياسي في كل نوع نوعاً من الانقلاب حتّى في الاخلاق والعادات؟..

ج: بسرّ "الناس على سلوك ملوكهم" تمشى الاستبداد وتنفذ في مجاري الدم، و تشربه أعصاب الهيئة الاجتماعية.. ثم تمثّل الاستبداد بصور كثيرة، وتسمّى بأسماء متنوّعة، واستعمل من حبائل الصيد.. حتى كم من رجل مثلي صير العلم واسطة للتحكم. وكم من أمثال هذا الشيخ بحيلة النجابة يتحكّمون ويتوهّمون مراعاة خاطرهم فرضًا على الناس.. وكم أساؤا في إسالة سخاوة الملية إلى الأرض السبخة الرملية..

س: يستفاد من كلامك هذا، أنه قد استعان استبداد الحكومة على قتلنا أنواعًا من تحكمات أخر..

ج: نعم إن الذي سمّم حياتنا، ومزّقنا بسلاح جهالتنا هو هذه الاستبدادات المنقسمة التي تصوّرت بصور غريبة، إلا أن أصل القباحة على والدهم أعني تحكم الحكومة.. فعلى هذا يكون الرؤوس والرؤساء على قسمين!..

س: فما الفرق؟

ج: كالفرق بين الاستبداد والمشروطية..فحينئذ أفسّر لكم ماهية القسمين؛ لتمثيل ولتشخيص ماهية الاستبداد والمشروطية.

س: كيف؟

ج: إن كان كبيركم استند إلى القوة المادية، أو إلى تخييل القوّة المعنوية أو الحيلة، واستعبد واستخدم الخلق، وربط الناس بتضييق الخوف والجبر، واستنزل الناس من الإنسانية إلى الحيوانية، وكسر شوق الملة وطير أمانيّهم؛ فإن ظهر خير اغتصبه وأراه من نفسه، حتى يقال: "طلاع الثنايا!".. وإن وقع شر علقه بعنق الملة.. فهذا الكبير ليس بسمين، بل متورّم يمثل الاستبداد بصغر اتباعه. لأن اتباعه إنما يسعون للسخرية والخاطر، فإن احسنوا يراؤن ويتودّدون المداهنة والكذب، فيتدحرجون إلى أسفل سافلين.. لأن الشوق الذي هو في حكم البخار لماكينة السعي الإنساني ينطفي.. فرئيسهم ورأسهم بدلاً عن أن يدخل تحت أكتافهم لينهضم، يركب على غواربهم حتى

يترآى وحده.. ويأكل من لحمهم حتى يتورّم.. ويصير حجابًا لايريهم الضياء لاستعداداتهم التي كالأزهار في الأكمام، بل هو وحده ينمو وينبسط وينكشف ويتلألأ زهرته..فإن أردتم أن تنظروا إلى الاستبداد المجسّم فعليكم بهذا الرجل!..

س: يا للعجب كيف بقينا، وللاستبداد هذا السم..

ج: استفدتم من اختلاف التحكمات وتعدّدها وتعاندها...

س: ما القسم الثاني من الخواص الذي هو مشخّص الشورى؟

ج: الكبير الكبير معناه هو الذي استند إلى الحق، واستعمل العقل، واستخدم المحبة فتنجذب إليه الملة. ولأنه لايخرج على رؤسهم، بل يدخل تحت أكتافهم ويرفعهم، وينبّه أشواقهم؛ إن حصلت حسنة تتوزّع معنا على الاتباع فبإصابته كل فرد حصّة من الفخر يتزايد شوقه. وهو لأجل أن يرى الحق موقعه ليتمكن فيه، ويرى ملته لضياء المعرفة، ويرسل زلال المحبة والعقل تحت تلك الأزهار

في الأكمام، حتى تنمو وتنكشف وتتزاهر!.. هذا هو التمثال لـ﴿ سيّد القوم خادمهم ﴾. فإن أردتم أن تنظروا إلى مجسّم الشورى؛ فعليكم بهذا الرجل فإنه مرآتها!..

س: فتبين أن الكبير من كان عقله صارمًا لا سيفه، ويفدي نفسه للملة، لا الملة لنفسه.

ج: الآن رأيتم ضياء الحقيقة!. أجَل، مريدوا شيخ صالح، وخدمة رئيس جبار ليسوا بسواء.. فبكمال التأسّف أقول: إن المزية في الخواص مع كونها سببًا للتواضع؛ صارت واسطة للتحكم.. وإن رقة القلب وصفائه والانجذاب للإطاعة العمياء في طبقة العوام، مع كونها سببًا أي سبب للشفقة والترحّم؛ صارت واسطة للأسارة والتقيد..

س: فمن أي وقت ابتدأ هذا الاستبداد الخبيث، وجاء يدوسنا؟

ج: وقتما خرج الإنسان من مملكة الحيوانية وجاء، استصحب هذه الحية الأفعى من حيث لا يشعر!..

س: كيف كانت الحيوانية وطن الاستبداد، منها يسري

ويتشر؟..

ج: أجل، لأن تغلب القوي على الضعيف، بدستور التنازع في البقاء من القوانين الأساسية للحيوانية!. أفلا ترون أن الذئب المستبد كيف يمزّق الشاة المظلومة.

س: ثم ما؟

ج: ثم أرسلت الأنبياء، حتى نزلت الشريعة الغرّاء وتدلت إلى الأرض لتطهر وجهها عمّا ينجّسها، وتبيض وجه نوع البشر عمّا يسودها!. وقد طهّرت وبيّضت مقدار ما ساعده الزمان والمكان..

فأسفًا إن المحيط الزماني والمكاني تأثيرًا؛ فحينما انقلبت الخلافة بذلك التأثير سلطنة؛ انتعش الاستبداد نوعًا ما، فازداد في زمان "يزيد" انتعاشًا.. فإذا رفع التحكم رأسه، سلّ حسين (رض) سيف الحرية الشرعية وأحاله على عنقه؛ لكن الجهل والوحشة اللذين هما ركنا الاستبداد وعراقه، هجمًا من جوانب العالم لإمداد استبداد "يزيد" في كربلاء، فأحرق قلب الحق والعدالة عطشًا!؟

س: أين المشروطية والاستبداد من الخلافة والسلطنة.. كيف تطابق بينهما، وتواصل بين أيديهما مع أن بينهما القرون؟

ج: إن روح المشروطية أن تكون القوة في القانون، والأمر والنهي في يد الحق، والمرء خادمًا.. وإن روح الاستبداد أن تكون القوة بالشخص، والأمر في يد كيفه، والقانون تابعًا، والحق مغلوب القوة.. هذان الرّوحان يتمثّلان في كل زمان بصورة، ويلبسان ما خاطه لهما الزمان.. فهذا الزمان هكذا يمثل، وهكذا يخيّط. يا هؤلاء الذين تستمعون إليّ! لاتحسبوا أن الاستبداد لما غلب، غلب بتمامه، وأن الشورى لما انهزمت اضمحلت! كلا! بل لأن الخير هو الغالب المطلق في الكائنات؛ كانت الشورى حاكمة ونافذة مدى الزمان في كثير من الشعبات وأنواع من الهيئات الاجتماعية، إلا أن الجدال بينهما مستمر، والحرب سجّالة!

س: كيف كفى الرأي الواحد ماضيًا، ولا يكفي مستقبلاً؟

ج: إن سلمنا كفايته، فللبساطة للبداوة.. أما الآن فلتعدد روابط المدنية، ولتشعب السياسة الدقيقة، وتكثر الحاجات

بالجاآت الزمان، وانبساط المناسبات وتوسّع الحاجات؛ لا يكفي لتدوير تلك التجارة الشركية، إلا قلب الملة ولسانها، أعني المجلس والرأي العام!..

س: ما هذه الأمور العظمى والأماني التي تسلى بها، مع أن المستقبلين هم الماضيون والنوع واحد؟

ج: بحكم ذلك الزمان، تضايق على كل فرد دائرة تصوّراته ومجال همه إلى حيث يعد حيوانًا في صورة إنسان؛ يتصوّر نفسه ليس إلا.. كأنه "نوع منحصر في الشخص" وحينما تمزّقت تلك القيودات، وتوسّعت تلك الدائرة، وتعالت الهمم إلى مناط الثريا؛ فصار كل فرد بانبساط همته وتوسّع أفكاره كملّة، وكالشخص المنبسط في النوع، كأن "الجنس منحصر فيه.."

س: يقال أن المشروطية تتجاوز حدود الشريعة في البعض؟..

ج: ما كل ما يقال يسمع!.. وقد أسمعتكم أن روح المشروطية الحقيقية من الشريعة، وحياتها منها، وتأخذ

الأمر منها؛ متوجّهة إلى كعبة الكمالات. إلا أنه يحتمل أن يقع في فتوحاته بعض تفرّعاتها وهجماتها مخالفًا بالجاء الضرورة، مع أن المخالفة موقتة ليست بخالدة.. وأيضًا لا يلزم أن يكون كل ما وقع في زمان المشروطية ناشئة منها.. وهلا شققتم قلبها وفتّشتم ما ينشأ منها؟ و أين ما هو يوافق عزائم الشريعة بتمام شؤنه؟ وأين من هو الذي يطيق بجميع أحواله على الشريعة؟ فإذًا أن الحكومة شخص معنوي لا يكون معصومًا كذرّاته إلا في المدينة الخيالية المشهورة الأفلاطونية.. ومع عدم المعصومية لتلك الفيلسوف، ينسد بحكمة الشورى أكثر الأبواب التي فيها يتداخل الفساد و سوء الاستعمال إلى مدينة مدنيتها.. مع أنها في الاستبداد كانت مفتّحة الأبواب!..

س: لم تجيب عن اعتراضات قد اعترضت بها أيضًا؟

ج: فرق بين اعتراضي واعتراضكم.. ما كنت معترضًا على الذّات، بل اللباس والصورة. لأني أتصور الحكومة الدستورية رجلاً صالحًا تزيّ بزي الفاسق، فأردت شقّ اللباس أوغسله؛ فما أذن لي الزمان، فاحلت على الزمان

حتى يبليه شيئًا فشيئًا.. لأن أهون الشرّين عدالة إضافية...

ألا اني بكمال التلهّف أقول أنادي: بأن تداخل فكر الانتقام المنقلب إلى الشدّة مع عدم التجربةالمنتج للهيجانات شدد الأمر علينا، حتى أظلم علينا نوع استبداد.

ألا انه سينقلص.. نعم كانت تصلي أو نَوَتْ صلاة العدالة؛ لكن ما عرفت القبلة، فعرفناها إياها!..

س: لم لا ينتظم دواليب الحكومة متحركة على الوجه الأليق؟..

ج: لأن الجامعين بين الحمية والتجربة، أو نور القلب ونور الفكر لا يستعيبون الوظائف بتمامها.. ففي بعض أهل الحمية صار ميل التخريب ملكةً تقلب شدّة غرورية، فإن عمروا خرّبوا.. وأهل التجربة والتعمير لايوفقون لأن يوافقوا مقاييسهم على هذه الماكينة الجديدة؛ فإقبالنا بإقبال نسل جديد!

س: في كلتا الحالتين خلاف لبعض القواعد الإسلامية؟..

ج: نعم، إن تَباعدت الشورى عن الشريعة بذراع؛ تباعدت

الحالة السابقة بمأة ذراع!..

س: لم؟

ج: لأن الخيط الدقيق بهبوب الريح لايستقر على حال من القلق... وإن الحبل المتين الحاصل من الاجتماع والاتّحاد لا يتزلزل ولو هبّت الزوابع.. وإن إجماع الأمة في الشريعة ورأي الجمهور فيها، أساسان متينان.. وميلان العموم فيها معتبر ومحترم.. والمراجعة في كل صنعة إلى أهلها مرعية عندها!..

فعلى هذا،فتأمّلوا كيف أن إرادة السلطان في الاستبداد كلما هبّت زعزعة الأرمنية أو صرصرة الأجنبية أو وسوسة الوهم، تقلقلت وتزلزلت تلك الإرادة، وقد كان يفدي عدالة الشريعة رشوة معنوية لتسكن أو تسكت!.. وأما في الزمان الذي مدّ يده المؤيدة بالتوفيق ليأخذنا من يد هذا الذي لا يشفق علينا، ولا يلطف بنا، ولا يرضانا بما يجهد، فإن في حسنه قبحًا.. وننظر من خلال زماننا إلى طلعته؛ فاعلموا أن ثلاث مأة آراء نيرة متقابلة، وأفكار حرة متخالفة لاتصطلح ولاتتحد ولاتسكت إلا على الحق

والمصحلة. والمصحلة وأهون الشرين أساسان قويان.. مع أن بقاعدة "الضرورات تبيح المحضورات" دق توجب الضرورة ما هو حرام. وتقطع الأصبع المتعفنة لئلاّ تقطع اليد، ويفدي البعض لسلامة الملة..

نعم، لو توقفت سلامة الملة على فداء الأرواح لما توقفنا كما لم نتوقف!..

فيا للعجب، ما هذه الأغراض والمنافع الجزئية يضنّ بها. وهل أعجب من رجل يجود بروحه، ثم يبخل بغرضه الذي يلدغه!.

فاعلموا إن من نادى بالشريعة، إن كان من موازنة والمحاكمة، وجعل الضرورة والمصلحة نصب العين فهو هو.. وإن لم يوازن كالبيطاشي المشهور، وسلك طريقًا ليس بنافذ، فذلك منخدع في عقله، مغبون في صفقته.. وإن كان صديقًا فهو صديق مجنون!..

س: إن في مجلس المبعوثين النصارى واليهود، فما قيمة آرائهم في نظر الشريعة؟

ج: **أولاً:** إن الحكم في الشورى للأكثر، والأكثر مسلمون.. حتى من العلماء سبعون. والمبعوث حر، لابد أن يكون حرًا، وأن لا يكون تحت تأثير خفي.. فإذا انتظم المجلس بحقّه، كان الحاكم الإسلام ليس إلا!..

وثانيًا: إن "خاچو" و "خاخان" إذا كانا صانِعَيْن للماكينة والساعة، فالمشورة معهما في تدوير الماكينة وتصنيع الساعة، معتبرة لا يردها الشريعة. كذلك، إن أكثر ما يشغله في مجلس الشورى، المصالح السياسيةوالمنافع الإقتصادية، اللواتي من قبيل صنعة الساعة والماكينة. فلابدّ أن لا تردّ الشريعة رأيهم فيما هم متخصصون فيه..

وأما الأحكام والحقوق فهي بالذات لاتتبدّل، بل التطبيقات والترجيحات تحوج إلى الشورى!.

نعم ألف مرة نعم! إن تجاوز الشورى إلى تبديل أصلها، انتحرت الحكومة.. وما وظيفة المبعوثية إلا أن يصنعوا بعض دساتير كالسور في جوانب الأحكام والحقوق، حتى لا يتداخل إليها سوء الاستعمال وحيل بعض القضاة وأهل الفتوى..

س: تقول عدالة وسعادة، فكيف السعادة إذا لم تخفف تكاليف الدولة الباهظة على الفقراء..

ج: فيه فرق أي فرق.. في السابقة يذهب ما يؤخذ منكم ضايعًا في الظلمات.. وأما الآن فالملة رقيبة ترى كيف يصرف.. أعني كأنه في الماضي يرمى إلى الماء أو في الأرض المتوخمة.. والآن أعني في الاستقبال ما يؤخذ منكم يرمى في مزرعتكم. هذا لكم نوع من الخفة!..

س: الحكومة والترك مكيف، ما كانت لانَزْبَحُ ولا نستريح ولا نرتفع.. فاللازم أن نرفع رأسنا، حتى ننظر من فوقهم ما بين رأسهم وكتفهم إلى ما ورائهم من الدنيا المدنية، ونمدّ أيدينا مع أياديهم إلى الماء الصافي، ونُرِيهم أننا قوم مرعِيّ الخَاطِرِ، نعني نتشبّث بأنفسنا.. لأن الحكومة مشوشة، وإستانبول متغيّرة، فإن اتّكلنا شربنا الماء المتعفّن؟..

ج: فتيقنوا أنكم لا أنتم فقط، بل سائر العناصر أيضًا، لا الآن فقط، بل إلى أربعين سنة لا تستغنون عن عن إرشاد الترك، ونوع وصايتهم، والامتزاج بهم، والأخوة الحقيقية

معهم.. لاتتفرقوا ﴿ فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾!..

وأما الحكومة، فقد كرّرت مرارًا أن دستور الشورى هو أن الحاكمية للملة.. أعني أن مجلس الشورى الذي هو مثال مجسم للرأي العام، والحاكم والمهندس. والحكومة خادمة وبانية.. فاشتكوا منكم لامنهم. وإحالة كل السيئات على الحكومة والأتراك، انخداع وغفلة عن سر المشروطية!..

نعم أيها الملة! إذا لم تحافظوا على حاكميتكم، اغتصبها أناس فيستبدون عليكم. أمثل لكم مثالاً: إن رأس العين التي تشعبت جداولها إذا تغيرت، تغيرت الجداول.. فالذي يلزم الاهتمام به أول كل شيء هو رأس العين. وأما إذا انقلبت رأس العين حوضًا، وانقلبت الجداول مسايل وعيونًا تنصب إليه؛ فالحوض ينظر إلى العيون ويتبعها. فلو تغير الحوض أو خرب-لاسمح الله - لاتتأثر به العيون لو كانت العيون عيونًا، ليست بعمى ولا عور ولا رمدا!..

ففي الزمان السابق،-مع بعض هذا الزمان – كانت الحكومة كرأس العين، فشكايتكم كانت حقة.. أما الآن،

أعني حين انفتح باب الاستقبال؛ انقلبت الحكومة حوضًا وتمامه في الآتي. وصار إستانبول بِرْكة، والترك منقعًا ونحن عيونًا إن اكتحلنا باثمد المعرفة، فلوموا أنفسكم بتعاميكم أيها الأكرادا!. ومن يحذو حذوكم لا أرى فينًا عينًا، لذا نشرب الماء المتعفّن الآتي من بعيد، ويتسلّط علينا الاستبداد المتناسخ..

فعلى هذا، عليكم بالغيرة وعدم التواكل! فتشبّثوا لتقوية المشروطية التي هي سبب سعادتنا؛ بأن تجعلوا فكر الملية سرابيًا وحفارًا، وأعطوا ليده محفار المعرفة والفضيلة، حتى يخرج من تحت هذه الجبال المتوحّشة عين الكمالات.. وإلا تصيرون سئلة أو تموتون عطشًا. مع أن التسئل لايفيد الآن، من يسأل فليكن سائلًا من نفسه..

وعندي أن المسترحم إما غير محقّ أو عاجز أو تنبل أو مسيء الظن فإن كنتم إنسانًا، كيف ما كانت الحكومة واستانبول والترك فلا عليكم. فإذا كان فيها خير اصابكم أيضًا، وإن وقع شر فلا يتدحرج إليكم..

س: لِمَ لا يجيء الشر مع الخير وهما أخوان؟

ج: يا هؤلاء قد قلنا آنفًا: انقلبت الحكومة حوضًا، والحوض في الأسفل، والشر ثقيل، والثقيل لا يتدحرج إلى الأعلى ولا ينجس الحوض مسيله إلا أن انجذب الشر بجهالتكم. وإن الخير كالنور ينعكس من الأسفل إلى الأعلى وينجذب.

س: إذا لم يكن للدين ضرر فليكن ما يكون ولا نبالي؟..

ج: إني ألفت كتاباً مسمّى بالصيقل الإسلامي فليقرأ ذلك الكتاب أحد عليكم، تعلمون الإسلامية كالشمس لاتطفى بالنفخ، وكالنهار لايصير ليلاً بغمض العين إلا على صاحب العين.. فيا للعجب، كيف يقتدر على حماية الدين سلطان مستبد، ومأمورون مداهنون، و شرطة فسقة، وتعتمدون عليهم؟! وكيف لا يقتدر العمود النوراني أو السيف الألماس الذي يحصل من امتزاج قطرات النور الإلهي، التي تولّدت من شعاعات الشفقة الإيمانية، ومن شرارات الحمية الإسلامية، المهتزّة في القلب، المتضمّن لنسمات الحسيات الدينية، المترصّدة والممدة خلف الأفكار العامة، المتمثّلة في مجلس الشورى؟! وكيف

لايطيق أن يرفع ذلك العمود النوراني حماية الدين على كتف حميّته، وعلى عين مراقبته، وعلى رأس شهامته؟!

نعم، إن القطرات تلتلأت منبثة، فستمتزج ملتهبة.. لأنه قد تقرّر في الحكمة؛ إن الحس الديني لاسيّما الدين الحق الفطري أشدّ حسًا، وأنفذ كلمًا وأعلى حكماً من كل الحسيات!.

الحاصل: من لم يتّكل على غيره تشبّث بنفسه.. أمثل لكم مثالًا: أنتم من أهل البدو، رأس مالكم الغنم... إن اعتمدتم على الراعي التنبل ومعاونه المتكاسل، وكلابه الجبانة.. ونمتم باطمئنان القلب في بيوتكم؛ أفلا يكون غنمكم ملعبًا للذئاب المستبدة والسارقين والصبيان؟! إما إن تفطنتم بعدم كفايته لحمايتها، وانتبهتم من نوم الغفلة وتسارعتم إلى الإحاطة لمادة حياتكم؛ فبدلاً من راع واحد تكونون ألفًا من الحماة الزمار!..

تأمّلوا في توبة "كوْدَانْ ومامخوران" فان هذا السر أولد فيهم ميل البكاء، فبكوا بدمع الندامة بأدنى نصيحة من الشيخ أحمد.. فلا تتأسّفوا ولا ينطفي اشتياقكم بسكون

طنطنة الذباب ودمدمة النحل!. فإن الموسيقة الإلهية ترقص الكائنات بنغماتها، وتهتزّ أسرار الحقائق بانشاداتها.

نعم، أجل، جير! أن سلطان الأزل ينادي في قرآنه ونفخ في موسيقته الإلهية فملأ العالم وأسمع الكائنات، فاهتزّت الذرّات فتموّجت إلى قبّة السماء، وانعطفت نغماتها متموّجة إلى أصداف رؤس العلماء، ومغارات قلوب الأولياء، وكهوف أفواه الخطباء؛ فانعكست أصدية ذلك الصوت من ألسنتهم سيالة وسيارة متنوعة ومتلونة.. فانطبعت تلك الأصدية في عالم النقش، فصيّرت عموم كتب الإسلام كأوتار طنبور واحد أو كعود.. كل كتاب كخيط واحد يعلن وينادي بنوع من ذلك الصداء السماوي الروحاني. ومن لم يسمع أو لم يستمع بأذني قلبه ذلك الصداء الماليء للعالم كالضياء، كيف يسمع ويرقص بطنطنة الذباب ودمدمة البعوضة؟!

الحاصل: من خاف على دينه بالانقلاب السياسي فنصيبه من الدين كبيت العنكبوت؛ فهو بالجهالة يخاف، وبالتقليد يتزلزل. لأنه لما ظن بالعجز وعدم إعتماد النفس سعادته

في جيب الحكومة، تخيل قلبه وعقله في كيس الحكومة أيضًا!

س: بعض أناس لا يقولون كما تقول، بل يقولون لا بد أن يجيء المهدي.. لأن الدنيا بسبب الهرم تشوشت والإسلامية تزلزلت بتنفس الأغراض؟..

ج: نعم، إن استعجل المهدي فعلى الرأس والعين فهذا وقته، إذ قد تمهّد له زمان حسن!. وعسى أن ينزل الرحمة... فمن قال ساء الزمان وفسد علينا، فهو يسند سيئات الزمان السابق الناشئة من مخالفة الإسلامية إلى الإسلامية من حيث لا يشعر. ويحمر تحت جداله نار الفتنة..

س: مَنِ المشوّشُ للأفكار؟..

ج: جمعية تشكلّت تحت رياسة جهالت آغا، و عناد أفندي، وغرض بك، و انتقام پاشا، وتقليد حضرتلري، ومسيو كڤزه لك.. فمن أفرادها من لم يفد درهماً من ضرره لألف دينار من منفعة الأمة، ومن رآى نفعه في

أضرار الناس، وسمنه في هزالهم، ومن لم يوازن بين الحقائق الإسلامية، واستدل كالبيطاشي المشهور، ومن يدعي فداء روحه للملّة وهو لا يفدي ميل الانتقام والغرض الشخصي، ومن يتوجه إلى المختارية والبكلك كطوائف الملوك، ويحتجّ بعدم المركزية السياسية ومن لم يهضم فكر انتقامه وميل تخريبه العفو العموميّ والاستراحة العامة التي هي أول إحسانات المشروطية!..

س: لم تفند جميعهم وهم ينصحوننا؟

ج: أروني مفسدًا يقول أنا مفسد، وما هو إلا أنه يترآى في صورة الحق، أو يرى الباطل حقًّا. نعم ما من أحد يقول مخيضي خامض.. فقبل التنفيذ لا تأخذوا شيئًا، لأن الدراهم المغشوشة المسحة قد كثرت في تجارة الأفكار. حتى لا تأخذوا مني بحسن الظن كل ما أعطيتكم. لأنه يمكن أن، أكون مفسدًا من حيث لاأشعر.

فعلى هذا تيقظوا، ولا تفتحوا الطريق إلى القلب لكل طارق. فليكن ما أقول في يد خيالكم، فاضربوا المحك؛ فإن خرج ذهبًا فأرسلوه إلى القلب!. وإن ترصّص أو

تنحّس؛ فاحملوا على كتف ذلك الكلام المنحوس كثيرًا من الغيبة، وشيّعوه بسوء الدعاء عليّ، وردوه خائبًا إليّ!..

س: لِمَ تسيء الظن بحسن ظننا لأنك أميننا، إذ السلطان السابق ما اقتدر أن يحولك عن الحق، و أن الجمعية الاتحادية ما اقتدروا أن يذللوك.. لأنك حبست وجننت، وكدت أن تصلب، وما تذللت وهجمت على الموت ضحوك السن؛ فتبرأت مبيض الوجه، مبيّضًا لوجوهنا وأعطاك وأعطوك معاشًا كثيرًا فما قبلت مستغنيًا بالمحبة الملية. فلا نتهمك بالميل إلى غير الحق، فأنت من جزب الحق والسلام؟!.

ج: نعم، من كان له معارفة مع الحق لا يكسر خاطرالحق لقلب أحد. لأن خاطر الحق خاطر الملة، وخاطر الملة عال وغال لا يفدى لخاطر أحد ولو كان أعظم سلطان .. ولكن لا أقبل حسن ظنكم، لأنكم تحسنون الظن بمن هو نفس سوء الظن كما في هذا الثناء. فعلى هذا فتأملوا في دليل الفكر وانظروا إلى نتيجة!.

س: كيف نعرف ونحن جهال نقلد أمثالكم؟

ج: وإن لم تكونوا من أهل العلم، فأنتم أهل العقل.. بدليل مهما تقاسمت أحدكم الزبيب غبنني، فجهلكم ليس بعذر. فاعلموا أن الأشجار المتشابهة تميزها ثمراتها.. فتبصروا في ثمرات فكري وأفكارهم؛ ترون يتلألأ في أحدهما الاستراحة والاطاعة والأمل.. وفي أوراق الأخر تستر حنظلة الاختلاف وسمّ اليأس!

أمثل لكم مثالًا آخر: تخيلوا أن في هذه الصحراء لترآى نار نوّارة، أنا أبشر بأنه نور لا نار، إلا طبقة ضعيفة موروثة. فتعالوا نحيط بها ونمدّها ونستضيء ونقتبس حتى تتلاشا الطبقة النارية.. وهم يقولون نار محرقة، فيها نور جزئي.. فإن كان نورًا كما قلت وتفرست استفدنا.. وإن كانت نارًا كما قالو ما ضرّتنا لأنه ما اقتحمنا..

وأما هؤلاء؛ فإن كان نورًا عميت قلوبهم، وإن كان نارًا أحرقت جسمهم ولباسهم. لأن النور الذي يظنونه نارًا، أيّما طلع لم ينطفي بصب ألوف قربة من الناس.. حتى هذه مرات فينا المتشبثون باطفائها، انطفوا!.

فالتمرد واليأس عار علينا لا يمن في الحيرة!..

س: تقول ليس بنار، وكلامك يشير إلى ناريّته وأنها تحرق كثيرًا ؟!

ج: نعم النور بالنسبة إلى الشرير نارًا وفيه نار تصوّرت طفيلية بصورة النور!..

س: أهل الفضيلة والعلم كيف يعملون الشر؟..

ج: الأخيار الذين يتورطون في الشر والشقاوة والفرقة بظن الخير والشرف والوحدة والسعادة ليسوا بقليلين!...

س: كيف يجيء الشر من الخير، والخسة من سوق الشرف؟!

ج: طلب المحال (ولو كان خيرًا محضًا) حمق وشر لنفسه. نعم من أراد الطيران من جبل واستهواه الهواء، يخرب بنيته وبيته. لأن من يوسوس بالشر إما بغيته حكومة معصومة، وإما إعادة الماضي.. فالأول محال عادي، لأنه لما لم يكن الشخص الواحد الآن معصومًا؛ فكيف بالشخص المعنوي الذي كل من ذراته مذنب بتحرك على نفسه؟ فمدار النظر ترجح الحسنات على السيئات كمًّا أو

كيفًا.. و كم من درهم من العقل، أيمَنُ من منّ من الجسامة. وعندي أن من سؤله المعصومية، يتكشّف طلبه عن الفوضاوية، لأنه لو عاش ألف سنة ورآى كلاً من الصور الممكنة للحكومة، ما ارتضى بأحدها بحكم خولياته.. ويتشبث لتمزيقها بحكم ميل التخريب المتولّد من ذلك الخولياء فيصيرون من أهل الاختلال المستمر المقدوح في نظر كل الفرق.

س: فلم لا يجوز أن يكون ضالّتهم الحالة السابقة، لأن عدم جرئة التشبث يقعدهم وفقدان استعداد التجدّد يوقفهم، والاعتياد يقيدهم؛ فيظنون الماضي الميت ممكن البعث بعينه؟.

ج: إني أبعث إلى أسماعكم قانونًا قصير القامة طويل الهمّة، فشاوروه وأساسه هو "ان تلك الحل محال فإما هذا الحال، و إما الاضمحلال"!.

س: لم امتنعت الحالة السابقة، وهل انسد باب السلطنة على مثل السلطان المخلوع.

ج: إذا مُزّقَتْ خيمتكم هذه السوداء، وأحرقت بأسلاكها؛ أيمكن تصنيع خيمة في رمادها!..

س: لِمَ؟

ج: لأنه لما لم تقاوم الاستبداد بقوّته المدهشة، بل تلاشت شزرًا مزرًا في مقابلة عشرة من المتنبّهين من الألف، فكيف والمتيقظون ترقوا الى النصف من الالف وقوة الاستبداد تنزلت من المائة إلى الواحد.

س:حينما كان الاستبداد والتحكّم هكذا رزيلة؛ فلم يتهالك الناس بأشتاتهم بأنواع من الحيل إلى إرتكاب الاستبداد في صورة شتّى؟!

ج: الا ترون كيف يتضمّن التحكّم لذّة منحوسة، وهوًى فرعونيًا، وهوسًا نمروديًا!

س: ألا ترى كيف تخالف الشورى الشريعة في مسائل؟.

ج: عندي أن المخالف لحقيقة الشريعة؛ إما مخالف للمشروطية، وإما ذنوبها، وإما مضطرة في إرتكابه. وبالفرض، فلتكن السياسة مخالفة في الجملة أو بالجملة،

فليس لها عظيم تأثير.. لأن الذي يتعلق بالسياسة جزؤ من مأة جزء من الشريعة الغراء، فبإهماله لا تهمل، وبعدم امتثاله لا ينكر ولا تنكر.. مع أن خمسة عشر أمثال العثمانية من ملة الاسلام يوجدون تحت سياسة الأجانب، ونور الإيمان يتلئلأ في سويداء قلوبهم وهم مصرون على الاسلامية ولو جزروا بالسيف لمهند.. أترون السياسة تضر دينهم، كلاّ!.. بل المضر الاستبداد المعنوي في ضمن سياسة الأجانب. فكيف يخاف على الدين من سياسة حكومة اس دستورها هذا الكلام وهو: "دين هذه الدولة، دين الاسلام!. ووقاية هذا الأساس وظيفتنا"...

س: أتستمر الحكومة على خدمة الإسلامية وتقوية الدين؟

ج: نعم، إلا أن تنتحر.. وإلا بعض المجانين الذين يظنون بأنفسهم عقلاء.. وإلا من فسد فطرته!. أجل، إن هدف المقصد ولو تستر وتباعد حماية وتقوية السلسلة النورانية المصيرة ثلاث مأة ميليون من الإسلام كوجود واحد. لأنها نقطة الإستناد وهي نقطة الإستمداد.

ألا إن قطرات المطر ولمعات النور لو كانت متفرقة

ومنتشرة تمحوا وتنطفيء بسرعة.. فبالضرورة، والإنجذاب، والتمايل، والتجارب، والتواتر، والتنازل تجتمع وتولد حوضًا من ماء الحياة سيفًا مهنّدًا كالبرق.

إن الدين جمال الكمال وضيائه.. والسعيد من أتى على حسن الظن بقلب سليم!..

س: فما الحرية التي تتجاذب فيها التأويلات، وتتخيل فيها الرأيا والعجيبة؟..

ج: إن من عاش مع طيفها في الرأيا عشرين سنة بوصفها لخبيرا!..

س:نِعْمَ التصادف وحبّذا الآن، قد سمعنا من بعض: "أن من الحرية؛ من لو فعل كل سفاهة ورزالة، ولم يضر الناس لم يؤاخذ؟.."

ج: أولاً: إن من فسر هكذا، فما أعلن إلا سفاهته ورزالته على رؤوس الأشهاد لأن الحرية الحسناء ما هي إلا متأدبة بآداب الشريعة، ومتزينة بفضائلها.. وما الحرية في السفاهة والرزالة حرية، بل استبداد الشيطان واسارة تحت النفس

الأمارة وحمارية. فانه ما من رزيلة إلا وهي مضرة، وبالإضرار تتضرّر الحرية العمومية!..

س: كم رأينا من لا يفسر كما تفسر.. مع أن بعض أفعال بعض من يسمى "جون تورك" يخالفك في التفسير ويناقض قولك. إذ بعضهم كما يأكلون رمضان، يشربون عليه أم الخبائث، ويتركون أبا الحسنات!. هيهات من خان ولم يصدق في أمر الله كيف يكون منه صداقة للملة؟!.

ج: أجل، نعم! لكم حق.. لكن الحمية والصداقة والفضيلة، غير العمل والصنعة والإقتدار.. ولأن من اللازم أن يمدّ نور القلب نور العقل.. فالقلب الذي لم يتزين بالفضيلة الإسلامية، لا يتضمّن ولا يترشح الحمية والصداقة والعدالة المحضة الحقيقية!. ولأن الصنعة غير الفضيلة، قد يكون الرجل السيء راعيًا حسناً.. فأسفًا إن الذي جمع النورين، والفضيلة والصنعة نادر لا يكفي. فإذا إما الصلاحة وإما المهارة!. فإذا تعارضتا، فالمهارة مرجّحة.

واعلموا أن السفيه وتارك الصلاة ليسا بحُرّين، بل رافضي الحرية. وليسا بجون تورك، بل "شون تورك" بلغة!..

أيها الأكراد! أليس من الإنصاف إذا أوّل الرافضي حديثًا بتأويل فاسد وعمل بخلافه؛ أن يرزل الرافضي لحماية حيثية الحديث، ولا يرفض الحديث. ولكل شيئ رافضي، ورافضية المشروطية هم السفهاء!..

ألا إن الحرية أن يكون المرء مطلق العنان في حركاته المشروعة، مصونًا عن التعرض، محفوظ الحقوق. ولا يتحكم بعض على بعض، بسر ﴿ **لاَ يَجْعَلْ بَعْضُكُمْ بَعضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ** ﴾ ولا يتأمر عليه غير قانون العدالة والتأديب لئلا يفسد حرية إخوانه.. على أن كمال حريته بحريتهم. و"المراد" حق و "المجاهدة" ليست في سبيلها!..

س: نحن معاشر البدويين كنا أحرارًا، حريتنا ولدت معنا، فليفرح الحضريون؟

ج: إن سوداء الحرية التي حملتكم مستحسنين ومستلذين مشقّات البداوة، وزهدتكم كالعنقاء من محاسن المدنية. لكن أيها البدويون! لكم نصف حرية وحشية، والنصف الآخر أن لا يتحكم ولا يتجاوز.. مع أن حريتكم ممزوجة بالوحشة وبقوة لا يموت، توجد في الحيوان أيضًا حتى أن

الحيوان الوحشي لذته حريته، ما توحش إلا للحرية. ولكن أين أنتم من الحرية الإنسانية التي كالشمس في البهاء؛ وهي معشوقة لكل روح، ولكفأ لجوهرالإنسانية.. وما هي إلا التي تخدّرت في قصر المدنية وتزينت بحلي المعرفة والفضيلة، وتولّدت بامتزاج لمعات حريات الأفراد..

س: قد قيل في حقها "حرية حرية بالنار، لأنها تختصّ بالكفّار" ما تقول في هذا القول؟

ج: **أولاً:** ليست الحرية هي الاباحة كما فهم.

ثانيًا: كم رأيت من ظن الاستبداد السابق حرية، حتى هجم على السلطان السابق كهجوم الأحرار لوجود اسم "الحرية" و "القانون الأساسي" في بعض القوانين. فما ظنكم بقائل هذا الشعر؟ فظني أنه ممن اشتبه عليه أشد الاستبداد بالحرية. فحينئذ كيف يحتج بقوله ويستمع شعره!. وقال من لم يعرف من أول نشأته وظيفة، إلا سلامة الإسلامية: "حرية عطية الرحمان، إذ أنها خاصية الإيمان".. لأن عبد الله حر، و ان خادم سلطان الكائنات برابطة الإيمان لايتنزل أن يذلل أو يتذلل!. لأن للإيمان شهامة تترفع عن الانقياد

للتحكم والاستبداد.. وكذا للإيمان شفقة تتنزّه عن تجاوز إلى حقوق الغير وإزالة حريته.

نعم، خادم السلطان لا يتنزل للتذلل لراع، ولا يحتاج لتذليل عار فقير. فبمقدار قوة الإيمان تتلألأ الحرية الشرعية..

س: هيهات! نحن عوام كيف نصير أحرارًا بالنسبة إلى العلماء والصلحاء والكبراء؟ أليس من حقهم أن يتحكموا علينا لمزاياهم، كيف لا نكون أسراء فضائلهم؟..

ج: شأن الولاية ولازم الفضيلة وخاصية الكمال إنما هو التواضع والمحوية، لا التكبر والتحكم!.. فمن تكبر فليس بكبير، بل طفل متكهّل فلا تُكَبّروه!..

س: لم؟

ج: لأن الحيثية والشهرة التي يتراآى فيها المرء وينظر إلى الناس منها، إن كانت أرفع من قامة الاستبداد تطاول بالتكبر إليها. وإن كانت قيمته واستحقاقه أعلى، تقوس بالتواضع إليها فتأمّلوا!.

س: فحينئذ صدقنا أن الحرية حَسناء، لكن حرية الأرمنيين شوهاء تحوّجنا إلى التأمل، فما رأيك فيها؟..

ج: ما حريتهم إلا أن لا يُظلموا أو لا يُخَلّ راحتهم، فهذا شرعي!.. وأما ما زاد: فإما تجاوز منهم مقابلة لتجاوزكم الوهمي، أو استفادة اغتنموها من جهالتكم...

ثانيًا: لو كانت حريتهم كما تظنونها مضرة بنا؛ فلسنا معاشر المسلمين بخاسرين.. لأن الأرمنيين الذين بيننا لا يبلغون ثلاثة ملايين.. وغير المسلمين فينا لا يبلغون عشرة ملايين.. مع أن من ملتنا وإخواننا الحقيقية مقدار ثلاثمأة مليون؛ وهم مقيدون بثلاثة قيود، أو بقيدين، أو بقيد ونصف تحت تضييق الاستبداد المعنوي وأسارة الأجانب.. فما حرية غير المسلمين فينا، إلا وهي مقدمة لحريةملتنا فيهم.. ورشوة معنوية لدفع ذلك الاستبداد المعنوي عليهم وعلينا.. ومفتاح لتلك القيود في أعناقهم و على أرجلنا..

نعم، حريتنا معاشر العثمانيين كشافة لطالع آسيا الخربة الخاوية الخالية.. ومفتاح لبخت الإسلامية المنكشفة..

وأساس لإتحاد الإسلام!..

س: ما هذه القيود الثلاثة التي قيدت العالم الإسلامي بسبب الاستبداد المعنوي من الأجانب؟

ج: مثلاً، حكومة روسيا واستبدادها قيد، وتحكم ملّتها قيد آخر، وتغلب عادتها على العادات الإسلامية قيد ثالث.. وحكومة إنكلترة، (وإن لم تكن مستبدة) إلا أن ملتها متحكمة وعاداتها متغلبة. "الهند" برهان، و "المصر" نصف برهان!..

أفلم يثبت أن إخواننا المسلمين مقيدون إما بثلاث، أو باثنين، أو بواحد من تلك القيود. وليس لنا في مقابلتها إلا قيد كاذب ضعيف وَضَعْنَا على أرجل غير المسلمين فينا، وفي بدله تدللوا علينا. فإذا انحصرت العسكرية فينا؛ انتقصنا نسلاً وثروة، وازدادوا فيهما. وعندي أنهم صاروا أحرارًا وقت تولد فكر الملية فيهم، لأن فكر الملية والد الحرية.. وما كان الاسراء إلا الأكراد والأتراك!..

فاعرفوا إنا فتحنا ذلك القيد الكاذب من ثلاثة أو عشرة؛

ليخل قيود ثلاثةٌ من ثلاثمأة، ويتمهد طريق لحرية العالم الإسلامي.. ألا من أعطى ثلاثة أو عشرة حالًا؛ واستربح ثلاثمأة مؤجّلاً فليس بخاسر!..

وسيأخذ اللإسلام بيمينه من الحجة سيفًا صارمًا جزّارًا مهندًا.. وبشماله من الحرية لجام فرس عربي مشرق اللون فالقًا بفأسه، ومهنّده رؤوس الاستبداد الذي به إندرس بساتيننا.

س: هيهات! كيف تكون حريتنا فجرًا صادقًا لحرية العالم الإسلامي؟

ج: بطريقين:

الأول: أن الاستبداد لما أسس سدًّا ظلمانيًا في مقابلة حرية آسيا؛ فما أضائت فيها وما مرت من تلك الظلمات حتى ينفتح العيون لترى الكمالات.. فإذا خرب ذلك السد، إنتشر فكر الحرية وينتشر وسينتشر إلى الصين. فإن قرأتم صحيفة الأفكار، أوتأملتم في طريقة السياسة، واستمتعتم الخطباء العموميين أعني "الجرائد"؛ تعلمون أن

الهند والمصر والقافقاسيا وأمثالها انتبه فكر الحرية فيها ساطعة، وتغلي بالشدّة زاكية. وقد حصل تحوّل عظيم وانقلابات عجيب من أفكار العالم الإسلامي، وقد انتجت حريتنا فيهم ترقيًا فكريًا وتيقظًا تامًا من يسمع يخل.. لو أعطينا في ثمنه مأة سنة ما كان إلا رخيصًا. لأن الحرية كشفت عن الملية، والملية تجلت عن الإسلامية ذلك الجوهر النوراني، والإسلامية اهتزت وآذنت:

بأن المسلم ليس جزئاً فردًا غاربه على عنقه؛ بل جزؤ لمركبات مداخلة متصاعدة لكل مع كل صلة رحم.. أن نقطة الاستناد ونقطة الاستمداد في غاية القوة والمتانة، فأحيت القوة المعنوية التي كانت ميتة باليأس.. فيستنتج غلينا فكر الحرية في العالم الإسلامي، تمزق حجاب الاستبداد المعنوى العمومى على عموم الاسلام على رغم أنف أبي اليأس المعري الأعمى.

والطريق الثاني: إلى الان مازال الأجانب يذللون ملتنا بالحيل ويحتجّون بما فينا من الأسارة.. أما الآن فلا يوجد ما يحتجون به، ولا يؤثر في عروق إنسانيتهم أو يهيج

أعصاب تعصّبهم. ومن شأن المدنية توليد حب الإنسانية!..

س: هيهات! أين هذا الأمل الذي تسلينا به، مع أن الأجانب كالحيّات فتحوا أفواههم لتسميم حياتنا وتمزيق دولتنا؟..

ج: إن المدنية الفضيلة والحرية في العالم الإنساني صارت غالبة، فأثقلت كفة الميزان.. فبالضرورة يتخفف الكفة الأخرى شيئًا فشيئًا. فبالفرض وقد يفرض المحال – لا سمح الله- لو مزقونا وقتلونا ونحن عشرون؛ لَحَيِينا و نحن ثلاث مأة!. ننفض غبار الرزائل والاختلاف عن رؤسنا، فلا نبالي بموت ينتج حياة أشد وأقوى وأبقى ولو كانت بعد حين، فكل آت قريب!..

س: كيف نتساوى مع الأرمنيين؟

ج: المساواة ليست في الفضيلة والشرف، بل في الحقوق.. والملك والمسكين سيان في الحقوق!..

فيا للعجب! الشريعة التي نهت عن تعذيب النّملة والتجاوز

إلى حقها؛ كيف لا تحافظ على حقوق بني آدم، لا سيما أهل الذمة.. ألا تكفي لتصحيح ظنكم وتقويم إعوجاجكم محاكمة أمير المؤمنين علي (رضي الله تعالى عنه) مع يهودي فقير.. ومرافعة فخركم صلاح الدين الأيوبي مع نصراني مسكين!

س: هم أهل الذمة، وأهل الذمة كيف يساوونا؟

ج: البادي أظلم، ما حافظنا ذمتنا معهم، وما أريناهم عدالة الشريعة بحقها، وبإساءة سنة الاستبداد ما حافظنا على حقوقهم بتمامها. ثم أردنا، فما اقتدرنا.. فإني الآن أنظر إليهم بأنهم نوع ذمي معاهد.

س: لهم عداوة معنا وخيانة وحيل، فكيف نتوافق على الوداد؟

ج: مات سبب العداوة، فسيحي الوفاق والمحبة.. إني أقول ولا أبالي: أن سعادة هذه المملكة وسلامة هذا الوطن تتوقفان على الأتفاق والمصافاة معهم. لكن لا بالتذلل، بل مع عزة الملية نمد يد المصالحة!..

أقول لكم شيئًا: إن أمكن أن ينمحوا عن صحيفة الوجود، يمكن أن يكون في الخصومة فائدة لكم، وإلا فالخصومة ضرر عليكم، وفائدة لهم كما رأيتم.. مع أن رفيقنا والذي يجيء معنا في الطريق المبتدأ من زمان نوح إلى هذا الآن لايطرد من الوجود، فدونه خرط القتاد.. مع أنهم متيقظون وأنتم نائمون، وبخيط فكر الملية متفقون ذو القوة.. وأنتم مختلفون غائضوا القوة في أرض الاختلاف. فإن أردتم الغلبة؛ فما هي إلا بما غلبوكم به.. وما هو إلا العقل والعدالة وفكر الملية والترقي. فمن ضرب السيف في هذا الزمان ينعكس إلى أيتامه. فإذ لابد من السيف، فلا بد من أن يكون في يد العقل وبأمر الحق، على أن سبب المحبة أقوى، لأنهم جيران. والمحبة جارة الجوار. وأنهم انتبهوا قبلنا، فانتشروا في الدنيا وجمعوا بذور الترقيات، وسيزرعونها في الوطن المشترك. وكذا يجبروننا على المدنية، ويوقظوننا للترقي، وينبهون فينا فكر الملية. فعلى هذا فليسوا بأعداء يضروننا، بل أوداء ينفعوننا باعتبار الأكثرية، أفلا يلزم الاتفاق؟ فإن أردتم أن تروا أعدائكم؛

فعليكم بالجهالة وابنها، أعني الفقر. وحفيدها أعني الخصومة.

ألا فاعلموا أنه ما عادانا قوم إلا تحت قيادة هذه الثلاثة غلبونا!..

س: حريتهم تشوشنا، لأنهم يتجاوزون الحدود ويقولون مفتخرون!.. "إن الحرية والمشروطية بنتيجة سعينا" فنقع في اليأس.

ج: أظن أن تجاوزهم الآن تشفي غيظ مما توهموا منكم من التجاوزالماضي، أو تصنع وتهديد في مقابلة ما يتخيلون منكم من تجاوز سيأتي. فخيالهم كوهمهم باطل. فإن اطمئنوا وآمنوا بعدم التجاوز، ثم كفروا بالعدالة فبقوة الحق نرغب أنوفهم.

وأما قولهم نحن استحصلنا المشروطية فهو كذب بلامين، بل عسكرنا وجمعيتنا.. هم إبن بجدتها، وهم الذين استحصلوها..

وأما هدف مقصد الأرمنيين في الماضي فما كان إلا

البكلك والمختارية وابن عم المختارية. أعني عدم المركزية السياسية. أما الآن فمن مأة منهم اتبعنا تسعون، وعشرتهم يهيمون في أودية الظلمة الماضية.

س: كيف تشير بالمحبة مع النصارى واليهود، مع أن القرآن نهى وقال: ﴿ لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ ﴾؟

ج: أولًا: كما لا بد أن يكون الدليل قطعي المتن، يلزم أن يكون قطعي الدلالة أيضًا..

مع أن للإحتمال فيها مجالًا نهي القرآن ليس بعامّ بل مطلق، والمطلق قد يقيد.. وللزمان المفسر أن يظهر قيده.. مع أن الحكم على المشتق أو شبيهه، يفيد علية مأخذ الاشتقاق للحكم. فاذن المنهي محبتهم؛ من حيث اليهودية والنصرانية وديانتهم. على أن المرء يكون محبوبًا لا لذاته، بل لصفته. وكل صفات غير المسلم لا تلزم أن تكون كافرة، كما لا يلزم أن يكون كل صفات المسلم مسلمة.

فعلى هذا؛ إذا استحسنا واقتبسنا صفة وصنعة مسلمتين في غير مسلم أفلا يجوز؟ فإن تزوج أحدكم كتابية، أفلا يحبها؟

وثانيًا: لما وقع في زمان السعادة انقلاب عظيم ديني؛ توجّه كل الأفكار إلى نقطة الدين، وارتبط كل الحسيات لاسيما العداوة والمحبة بتلك النقطة. فلهذا كانت المحبة مع غير المسلم في ذلك الزمان علامة النفاق ملوحة به. فأما الصدر الأول من المفسرين فما احتاجوا إلى تقييد مطلق النهي وتفسيره، فسكوتهم على التقييد لا يكون دليلًا على الإطلاق. ولكن لما كان الإنقلاب الحاضر مدنيًا دنيويًا وترقيًا؛ انجذبت الأذهان إلى نقطة المدنية والترقي، واشتغلت العقول بسعادة الدنيا.. مع أن ارتباط غير المسلمين مع دينهم "أوهن من بيت العنكبوت"

فإذا كان هذا هكذا؛ فاستحساننا لمحاسن مدنيتهم وترقياتهم للإقتباس، المحبة معهم لصفاتهم المسلمة التي هي أساس الاستراحة التي هي أساس السعادة الدنيوية، كيف يدخل تحت نهي القرآن؟ والقرآن أنزل للرحمة والسهادة..

س: ما تقول في بعض الجون ترك، فإنهم يقولون لاتقولوا للنصارى: "هَيْ كافر" لأنهم أهل كتاب فكيف لا نقول كما

قال الله تعالى؟!

ج: كما لا تقولون للأعور "هَيْ أعور" كي لا يتأذّى.. إذ قد نهى عن الأذى: "من آذى ذمّيًا...الخ" لِمَ لا يجوز أن يكون مراد ذلك البعض هذا!!.

وثانيًا: للكافر معنيان؛ أما التبادر بحسب العرف فهو منكر الصانع ومن لا دين له.. فبهذا المعنى لا يطلق على أهل الكتاب.

والمعنى الثاني: هو منكر الإسلامية.. فلتبادر المعنى الأول صارت تلك الكلمة كلمة تحقير وترزيل.. على أن دائرة الاعتقاديات أرفع وأنزه من أن تخالط بدائرة المعاملات!..

س: نحن نسمع كثيرًا من السيئات، سيما غير المسلمين!..حتى كذا وكذا.. كيت وكيت.. الخ

ج: نعم،فتأسّفًا أمثال هذه السيئات تكون ضروريةً الوقوع في دولة وهي جديدة، لم تقرر و هي متغيرة، وفي ملة وهم جهلاء متفاوتة الطبقات وهم متباينة العناصر.. على أن السيئات في السابق كانت أكثر ولكن كانت خفية.

والمرض المضمر أضر الداء، إنما يداوى إذا كان مرئيًا. وأيضاً وإن كنتم أميين، لكن لكم جربذة، والجربذة سبب الخدع والانخداع. فتسنبلت تلك السيئات بجربذتكم، واستولت على الحسنات في خيالكم!..

مثلاً لو تخيل متوهّم؛ كل ما ألقى كل فرد من هذه العشيرة من البلغم على أنه من شخص واحد، بتأثير الجربزة المفيدة لطيّ المكان الوهمي،ثم قاس عليه قياساً خياليًا.. أو توهّم متخيّل؛ جميع ما صدر من أحد في سنة من الرئحة الكريهة في آن واحد، بتأثير الجربزة المفيد لطي الزمان الخايالي؛ فانظر كيف يستقذر ويتعفّن في نظر الخيال، وحس الوهم!. حتى لو غمض الخيال عينه، وسد الوهم أنفه وفرّا من كهفيهما كانا معذورين، لا يعنف عليهما العقل بتركهما منزليهما..

نعم، من شأن الجربزة طيّ الزمان والمكان وجمع المتفرقات، وجعلها حجاباً أسودًا تنظر الأشياء من ورائه. وكم للجربزة بأنواعها غرائب... ألا ترى أن العاشق كيف يرى الكائنات ترقص متضاحكة متحابة متجاذبة.. وكيف

ترى الثكلى الحزينة تتمثل لها الكائنات نادية متباكية حزينة، كل يجني ما يشتهيه.. فتأملوا إذا دخل أحد في بستان مشتمل على أنواع الأزهار والثمرات، وفرّق في بعض جوانبه بعض العفونات والأنجاس التي لا يتطهّر منها إلا جنان الجنة، مع أن داخله لا يسكن فيه إلا ساعة. فانحراف مزاجه يأمره أن يتحرّى المتعفّنات ويديم النظر إليها. كأنّه ليس فيه إلا هي.. وبحكم الخولياء يتوسّع ويتسنبل ذلك الخيال، حتى يحسب ذلك البستان الباهرمسلخًا ومزبلًا، فتجيش نفسه ويتقيّأ، فيهرب متنفّرًا.

يا هؤلاء! أمن الحكمة والمصلحة هذا الخيال الذي يغص على البشر حياته؟ ألا ترون أن من أحسن رؤيته حَسُنَ رويته، فيحسن رؤياه!..

س: فدائيوا الأرمنيون صنعوا، مع أنهم الآن هم المعتبرون. كأن كل سيئاتهم حسنات، وسمهم ماء حياة. فما هذا الإرتكاس و الإنعكاس؟!

ج: لأن سيئاتهم صارت معينة للحسنة وإن لم تشعر.. فإن صاروا تائبين من ميل التخريب فما بقوا مفسدين، وإلا

فالمرض المضمر أضر. والأبخرة إذا لم تجد منفذًا تتزلزل.. وكم من شرير لانجرار شرهم بالآخر إلى المعاونة للأخيار في مقصدهم ولو من جهة، يتصورون بصورة الأخيار، فيصفق الناس على شرورهم أيضًا. وفيه خطأ أي خطأ. مثلُهُم كمثل من ينقض بيته للتعمير، ويجيء عدوه يخربه لاضرار، مع أنه لا يعينه في مقصده.. فبدلاً من أن يشكو يشكره، ففي التشييد يشركه..

س: كيف يجوز أن يكون غير المسلم عسكرًا

ج: **بأربعة أوجه: الأول:** ما العسكرية إلا للحرب والجهاد. أفإذا قاتلتم دبًّا كبيرًا كما في مساء أمسكم، ونصركم نسوانكم وصبيانكم وكلابكم فهل فيه شين بكم أو عار عليكم؟!

والثاني: إنه كان للنبي عليه السلام من مشركي العرب حلفاء و معاهدون؛ كانوا يذهبون معه عليه السلام إلى القتال على أن هؤلاء أهل الكتاب!...

والثالث: إنه قد استخدم في العسكرية غير المسلمين ولو

قليلًا في كثير من الدول الإسلامية.

والرابع: إني أرى أن من أهم أسباب تدنينًا نسلاً وثروة، وترقّى غير المسلمين فيهما؛ انحصار العسكرية فينا. إذ أن نفوس الإسلامية في هذه الدولة قبل هذا بأربعة قرون كانت تنوف على أربعين مليونًا، وكانت الثروة والتجارة في أيدينا.. وغير المسلمين الذين الآن بيننا ما كانوا في ذلك الزمان إلا مقدار خمسة أو ستة ملايين، ومن كانوا إلا فقراء وفلاحين.. أفلا ترون الآن كيف تدحرجنا إلى عشرين، وتورطنا في متوخم الفقر.. وهم انسلّوا من تحت أرجل الفقر، فاعتلوا على رأس الثروة، وتصاعدوا من الثُّمُنية إلى النصف بنفوسهم..

ومن أهم الأسباب: أن أحدًا منا لو كان له أربعة أولاد، فبملاحظة العسكرية لا يتزوجون، وإن تزوجوا لا يفيدهم. لأنهم بحكم المأمورية يدورون أولادهم في الأطراف كأفراخ الهرة فيضيعونهم.. وإن أردتم دليلًا فاذهبوا إلى "وان" وافتحوا باب أرمني وباب مسلم؛ ترون كيف يريكم باب الأرمني عشرة دلائل ذوات أرجل ساعية. وأما بيت

المسلم يترآى فيه برهانان ضعيفان متوانيان بالعطالة..

س: لم تنزلنا من ذورة الثروة، وتصاعدوا من قعر قفر الفقر فانعكست القضية؟...

ج: له سببان: الأول: انكسار ميلان السعي المستفيد من ﴿ لَيس لِلْإِنْسَانِ إلاَّ مَا سَعَى ﴾ وانطفاء الشوق بوعظ نصاح لم يعرفوا أن إعلاء كلمة الله تعالى في هذا الزمان يتوقف على الترقّى مادّة: ولم يتفهّموا قيمة الدنيا من حيث هي مزرعة الآخرة. ولم يتميزوا بين الجاآت القرون الوسطى والقرون الأخرى. ولم يفرقوا بين القناعة في التحصيل، والقناعة في المحصول. ولم يتبينوا بون ما بين التوكل في ترتيب المقدّمات، والتوكل في ترتيب النتيجة. ولم يتفرسوا سر: **"أمّتي! أمتي!"** وحكمة: **﴿ خير الناس أنفعهم للناس ﴾**..

والثاني: سلكنا في المعيشة المسلك الغير الطبيعي الذي ينام فيه التكاسل، ويختال فيه الغرور، ويترأس فيه التحكم؛ فقطع علينا الطريق "جزاء ما كسبت أيدينا"..

وقد سلك غير المسلمين في الطريق الحقيقي والفطري للسعي كالسكّة الحديدية.

س: كيف؟!.

ج: إن الطريقة المشروعة الطبيعية الحيوية للمعيشة "الصنعة والزراعة والتجارة". وأما الجامد الغير الطبيعي فما هو إلا المأمورية والإمارة بأنواعها. وعندي أن الإمارة – بأي اسم سميت- من صيرها مدار المعيشة فقط، فهو في نظر الحكمة جنكنة وجرار وعاجز. (ولكن من القسم الحيّال) من دخل في سلك المأمورية والإمارة، فليدخل للحمية والخدمة والملة. وإلا فإن دخل للمعيشة والمنفعة والنفس فليس هو إلا من السئلة السفلة العجزة. فثبت أن انحصار المأمورية في الجملة والعسكرية بالجملة فينا؛ هوالذي أغار الإسراف على ثروتنا وسبي ذرارينا أيادى سبا، كما ترون بعين التأسّف. أفلا تعلمون أنه لو استمر الماضي لإنطفى استقبالنا واستدبر إقبالنا وأقبل انقراضنا.

فعلى هذا، إن هذه المسألة مصلحة مرسلة قريبة من الضرورة بل ضرورية. والمصالح المرسلة في مذهب

"الإمام مالك" تصير علة شرعية. وتخريج هذا المناط وتحقيقه وتنقيحه لا يناسبها المقام.

س: كيف يصير غير المسلم واليًا وقائمقاماً.

ج: كما صار ساعاتيًا وماكينيًا وكناسًا. لأن المشروطية – إن صارت صادقة- كانت الحاكمية للملة، والحكومة لا تبقي رئيسة بل خادمة. وغير المسلم لا يكون رئيسًا، لكن يكون خادمًا. فلو فرضنا أنه ضرر وترأس علينا، إلا أنه لما شاركنا في رياستنا ثلاثة ألوف منهم.. انفتح طريق لرياسة ثلاثة مأة ألوف من إخواننا المسلمين، لما كنّا خاسرين.

س: ألا ترى أن بعض أحكام الشريعة مربوطة بولاية الوالي مثلاً؟

ج: هذه معمى ما يحله إلا الزمان. نعم ممثل الخلافة هي المشيخة الإسلامية، وهي ممتازة مقدسة، فلا ريب أنها تصير رقيبة نظارة على الكل فتأمل!..

س: سمعنا من الزمان السابق إلى الآن أن أكثر "جون ترك" من الماصونيين يضرون الدين..

ج: حاشاً!. هذا وهم القاه إلا الاستبداد لمحافظته. والتحقيق عندي أن ليس مقصدهم ضرر الدين، بل نفع الملة و تأمين سلامتها.. وقد يهجمون على التعصب. فإن كنتم تسمّون في اصطلاحكم عموم أهل المشروطية بـ"جون ترك"؛ فاعلموا أن قسمًا عظيمًا منهم فدائيون لنفس الإسلامية. و فسماً منهم فدوا أرواحهم لسلامة الملة الإسلامية. وقد يسمّى قسم عظيم منهم بالاتحاد والترقي. فكما يوجد فيهم مقدار عشائركم العلماء والصلحاء؛ كذلك يوجد فيهم بالندرة بعض من الماصونين وكثير من السفهاء وقسم من المفسدين.. لكن من المأة عشرة أو عشرون. "الحكم للأكثر". على أن سوء ظنكم هذا، كما أنه يضركم، يضرهم.. ألا أن زين عين الرضى حسن النظر باللطف والشفقة، وأن نور الفؤاد بالرفق والرحمة.. ولقد سمى على الحق باقدام التوفيق، وسعد من اختار الاستضاء بمصباح ﴿ أنا عند حسن ظن عبدي بي ﴾

س: لم يضرهم سوء ظننا.؟

ج: لأن كثيرًا منهم مثلكم لم يتحققوا الإسلامية، وما عرفوا

إلا الظواهر بالتقليد، والتقليد في معرض التمزق. فانظروا إذا قلتم لهم: "أنكم لستم من الإسلامية فى شيئ" وهم سطحيّون لا يعرفون إلا الظاهر منها، كيف يترددون وكيف يلقى فيهم شبهة في أن مسلكهم من الدين أم لا؟ أو ينادون باليأس بأيواه! فليكن ما يكون و يشرعون بالمخالفة على وجه العناد. فإذًا صرتم سببًا لضلالة بعضهم.

س: لِمَ؟

ج: لأنه لو كان في ضمير أحدهم سوء، فلا بد أن لا يهجهم عليه. لأن كثيرًا من السيئات إذا بقيت مستورة ولم يمزق عليها حجابها وتغوفل عنها، تنمحي وتنحصر.. وصاحبها يتشبث بإصلاحها تحت حجاب الحياة. لكن إذا هجم عليه ورفع الحجاب؛ توسعت السيئة ويصير صاحبها خليع العذار يعلن ولا يبالي.. وإني رأيت في "حادثة مارت" حالة قريبة من هذا. لأنه لما نادى من أفدى روحه للإسلامية، وخدم المشروطية بحقها، و تشبث بتطبيق تفرّعات المشروطية على الشريعة، وأرشد الحكومة للتوجه في صلاة العدالة إلى القبلة، وأراد إعلاء الشريعة

وتأسيس المشرطية كل بقوة الأخرى، وحول السيئات السابقة وحملها على خلاف الشريعة؛ فإذًا خرج بعض من لايعرف يمينه من شماله ولا يفهم من الشريعة إلا اسمها، وظن –حاشا!– مساعدتها للا ستبداد وقلد مثل البهبهان ونادى: "بأنا نطلب الشريعة!" فاختفى المقصد وأنجر إلى ما رأيتم... فحينما صار هكذا؛ هجم بعض من "الجون ترك" على ذلك الاسم المقدس، واعترضوا وضلوا وأضلوا..

هذا لكم نقطة سوداء في وجه الزمان فيها عبرة أية عبرة!.. ولقد قعدت الهمة بها، ولم تقتدر على النهوض، ولقد شوقت صداء موسيقة الحرية طنطنة الأغراض، ولقد تقلصت المشروطية منحصرة على قليلين، فتفرقت عنها حماة زمارها!..

س: لِمَ نتضرر بسوء ظننا فيهم؟

ج: أمثل لكم مثالًا؛ فتخيلوا في هذه الصحراء قصرًا عاليًا في غاية الاحتشام، وفي ساحته مستحم حار معدني كمستحمكم في وادي "بيت الشباب".. وأنتم بسبب

ارتعاشكم بحمى البرودة ولطم الريح عنقكم ولكم الثلج رؤسكم؛ مضطرّون لدخول ذلك القصر اختياريًا أو اضطراريًا شئتم أم لم تشاؤا.. إلا أنكم سمعتم أو رأيتم أن في القصر بعض العمى، و في المستحم عريانين.. فتوهمتم أن القصر دار العمى ومنزل العريانين. فلما أردتم الدخول، والوهم آخذ بأيديكم: تنزعون لباس الطاعة لتوافقوهم.. وتغمضون عين العقيدة لئلاّ تنظروا إلى عوراتهم. مع أنهم عل سرر يتحدثون ويتشاورون، إلا أن في بعض الزوايا عميًا وعراةً. فبالله عليك! تفكر إذا دخلت هكذا وحشيًا وعورتك تُرى وعينك لا ترى، كيف ترى حالك؟! وقد أناخ الضرر على حيثيتك؟..

يا أيها الذي يجول معي بخياله في شواهق "كردستان"! إليك عني معذرة؛ فإن أطنبت في هذه المادة، فإنها مسئلة مهمّة كم ورطت...

خاتمة: عندي أن من جاء من نسل مسلم وإن تبرّأ عقله، ففطرته لا تتبرّأ من الإسلامية البتة. إقول لكم حكمة، أثبتها شهادت التواريخ من زمان السعادة إلى الآن؛ وهي أنه لم

يرجح مسلم دينًا آخر مطلقًا على الإسلامية بالدليل العقلي، ولم يدخل فيه بالمحاكمة العقلية. ولاأقول لايخرج من الدين، أو لايدخل بالتقليد.. لأنها مسئلة أخرى. مع أن أتباع كل الأديان دخلوا ويدخلون في الإسلامية فوجًا فوجًا بفتوى عقلهم واستشارة الدليل. فإن أريناهم الحقائق الإسلامية بحقها؛ فافواجًا أفواجًا لاريب في.. مع أن البشر تنبّه وعرف جوهر الإنسانية، وأنه مرسل إلى المستقبل. وأنه لابد له من سر يستند إليه ويستمد منه، فلا يكون بلا دين البتة. فلهذا السر انتبه الآن ميل تحرّي دين الحق.. فثبت أن دين نوع البشر في الاستقبال هو الإسلامية ليس إلا..

أيا من لاينصفون! كيف تضايق في نظركم الإسلامية التي تستعد لأن تبتلع العالم وتضيء الدنيا، حتى شرعتم تخرجون نصف أهلها من تحتها. وكيف تخيلتموها كالخيمة المضروبة على الفقراء والبدويين، مع أن الإسلامية ما هي إلا المدينة النيرة والمدنية النورانية الجامعة لجميع الكمالات، المربية المهذبة لعموم الحسيات

العالية في عموم نوع البشر.

نعم، كل أحد ينظر في مرآته، وأظن أن مرآتكم سوداء كاذبة. فلهذا تمثل وتحكي لكم هكذا.

س: أفرطت، وتخيلت الخيال حقيقة، وتجاوزت علينا وخدعتنا بجربذتك، فلا تسمعنا ما لانستمع والسلام.

ج: يا أيها الماضيون الصم العمي! ها أنا استدبركم واستقبل المستقبلين الذين ينظرون إلي بنظر خفي غيبي.. هذه خطبتي معهم:

أيا من اختفوا ساكتين خلف العصر الشاهق بعد ثلاة قرون بعدنا، مستمعين إلي عن بعد، مسميين بـ(سعيد وحمزة ويوسف وعمر!) إني أخاطبكم، ألا ترفعون رؤوسكم ونقولون:" صدقت!" وليكن التصديق ديناً عليكم، إني لاأبالي بعدم تصديق معاصري.. لأني إياكم أعني، فلا يستمع جاري.. وإني أخابر معاكم بالتاريخ الذي هو كالتلغراف الجديد الممتد من أودية الماضي إلى ذروة استقبالكم.

ألا استعجلت فجئت في الشتاء، أراكم في رابيع كالجنة. نحن نزرع وفيكم تتزاهر..فأجرة خدمتي منكم، أنكم إذا جئتم تمرون إلى قطعة الماضي أن تعوجوا على قبري، وأن تغرسوا بعض تلك الأزهار على الحجر الشاهد على الترب الذي أضاف أعظمي؛ وصيحوا بنا تسمعون صداء "هنيئًا لكم" ولو من الشاهد على طيف الفيف!.

أجل،إن الذين يرتضعون معنا من ثديي هذا الزمان وترعرعوا وهم أطفال، وعيونهم ليست بنظارة إلا إلى أودية الماضي، إنما ينظرون إلى حقائق هذا الكتاب بنظر الخيال، فليكم تصورهم مثلهم بلا حقيقة.. ألا أن لي ثقة بأن تلك الحقائق تتحقق فيكم. فاعذروني في صيحى بالشدة على الحاضرين جسمًا والغائبين فكرًا، لأني أناديهم إلى الجامعة وهم في أعماق الأعصار السالفة، وأنا على منارة العصر الثالث عشر، فلهذا لا أسمعهم. فإن لم يستمعوا، فلينسلوا وليتمازوا أولئك القبور المتحركة ذوات الأرجل! ولا يسكنوا على باب مسيل النسل! إن القبور تنتظرهم فليذهبوا حتى ينفتح الباب للنسل الجديد الذي

سيرفعون أعلام الحقائق الإسلامية مهتزة و متموجة على الكائنات إياكم أعني!..

س: يا هذا، كيف استحقنا من ضربات التحامل والتحقير علينا هذا المقدار، وما تقاعدنا من تشبّث الأخلاف وإن تمسّكنا بأذيال الأسلاف. ففتحنا السمع لكلامك فمرحبًا به؟!.

ج: فإن ندمتم فعودوا لوظيفتكم من السؤال..

س: هل بحث العلماء والأسلاف عن سيئات الإستبداد؟..

ج: ألف مرة نعم! لكن تقاصر فهمكم حوّجكم إلى الاستفسار. ألا ترون أن أغلب الشعراء في قصائدهم وكثيرًا من العلماء في ديباجات كتبهم كيف اشتكوا من الزمان واعترضوا على الدهر وهجموا على الفلك بمرام صائبة. فإن استمعتم بإذن القلب ونظرتم بعين العقل، لرأيتم أن كل سهام الاعتراضات لا تصيب إلا ظهر الاستبداد الذي تزمّل وتلفّف بالزمان الماضي الظلماني.. ولسمعتم أن كل الصراخ والآهات والويلات إنما تصدر

من تحت تأثير مخلب الاستبداد. وإن لم يكن الاستبداد مرأى الصورة معلوم الإسم متحصّل المعنى؛ لكن الأرواح تتحسّس بتسمّم معناه وتتألم به.. وتعلم أن في الوجود ما يلقي السم وإن لم يتشخص العقل ماهيته، إذ كان في الظلمات منبثًا يطوف به بعض الملوك. ولما ظن طلائع البشر وأئمته معنى الاستبداد من المصيبات السماوية المحالة إزالتها؛ هجموا على الزمان ولكموا رأسه ولطموا عنق الدهر. إذ من القواعد المقررة أنه إذا خرج أمر من دائرة الجزء الاختياري ومن الجزئية ودخل في ه الدائرة الكلية العمومية، أو كان دفعه محالًا بحسب العادة؛ يسندونه إلى الزمان ويشتكون من الدهر ويرمون الأحجار والسهام إلى قبة الفلك، فتنبوا وتؤب الأحجار فتعمي عين الهمة العلياء، فينعقد السهم يأسًا. فلو أمعن النظر لرأيتم أين الأحجار صائبة، وكيف أطالوا فيما لا يلزم، وكلما أضاءت لهم السعادة أثنوا على من سادهم.. وكلما أظلموا عليهم، شتموا الزمان.

س: أما يكون الشكاية من الزمان والاعتراض على الدهر

اعتراضًا على بدايع صنعة الصانع جل جلاله؟

ج: كلا، بل المعنى من الشكاية كأن الشاكي يقول: إن الأمر الذي أحبّه، والشيء الذي أطلبه، والحالة التي اشتهيها لا تستعد العالم المنظمة بدستور الحكمة الأزلية، ولايساعد قانون الفلك المنظم بيد العناية، ولا توافق طبيعة الزمان المنظمة بالمشيئة الأزلية، ولاتؤذن الحكمة المؤسسة للمصالح العمومية أن يأخذ و يقتطف عالم الإمكان من يد الفياض المطلق تلك الثمرات التي نطلبها بهندسة عقولنا ونشتهيها بتهوسنا. نعم كيف يجوز أن يسكن عن حركتها لهوس شخص الدائرة العظيمة المحيطة!.

س: ما تقول في الشعراء والعلماء الذين أفرطوا في الثناء على الأمراء؟ مع أنك تنظر إلى كثير منهم نظر المستبدّين..

ج: أساؤا في العمل وإن أحسنوا في النية. لأن نيتهم أن يحملوا الأمراء على الترفع عن السيئات والتوضّع عقب الحسنات..

ولولا خلال سنّة الشعر مادري

بناة المعالي كيف تبنى المكارم

س: لِمَ؟

ج: أفلا ترون أن محصل كلامهم في مدائحهم إنما هو غصب لمحاسن ملة، وإغارة لها. وإهداء لتلك المحاسن لشخص متحكّم وإرائتها منه. أفليسوا من هذه النقطة مصفقين على الاستبداد الأمراء ومستحسنين له عملاً..

س: نحن معاشر الأكراد لنا شجاعة بملأ القلب، بل ملأت الجسد بل انبسطت حتى تجلّت في هذه الأودية وهي حصننا.. ولنا ذكاوة بملأ الرأس، ولنا غيرة بملأ الصدر، ولنا إطاعة بملأ البدن مع جوارحه.. وأفرادنا تملأ الأودية وتتزين بهم الجبال؛ فما بالنا تسفلنا وأفلسنا وتذللنا، حتى صرنا ملقين على الطريق يدوسنا المارون إلى الاستقبال. مع أن الملةالجارة لنا وإن كانوا أقل منا فهم أكثر منا قوة.. وأقصر منا وهم يتطاولون علينا.. "ركسهم يغلب طاهرنا"؟

ج: أما حينما انفتح بالمشروطية باب التوبة فليس لي فى

حق التعنيف والتوبيخ، إلا أني أرمي حجري إلى السابق. فان انكسر خاطر بعض فليعذرني. إذ خاطر الملة أعلى وأغلى من خاطرهم..

فاعلموا أن من السبب؛ بعض الرؤساء وبعضاً ممن يدعون الولاية وهم ليسوا بوليين، مع أن الاستبداد هو الذي سنّ هذه السنة السيئة...

س: كيف؟

ج: إن لكل ملة حوضًا مليًا يجتمع فيه قوّتها، وخزينة يتخزن فيها مالها. فهذا البعض من المتحكمين – علموا أو لم يعلموا- ثقبوا في جوانب ذلك الحوض والخزينة ثقبًا. اختطفوا أو أسالوا منها ماء الحياة ومادتها حتى نشف الحوض، وخلت الخزينة المعنوية!..

كما أن المرأ إذا فقد القوة الشهوانية الجاذبة، و القوة الغضبية الدافعة، يساوي الميت وهو حيّ. وإن الشمندوفر الذي تثقب جوانب مخزنه البخاري تتعطّل حركته. وإن العقد الذي تقطع خيطه ينتشر لا إلى انتظام.. كذلك الملة

التي هي شخص معنوي بسبب تخلية الرؤساء والرؤس حوض القوة ومخزن مالها وتقطيع خيط الفكر الملية تكون –ولو كانت في صورة الموجود– معدموية الموجودية..

نعم "حقيقتي كتم نه ميكنم بر دل عامي چند".

فكيف أكسر الحقيقة لخاطر بعض العوام!..

س: فصّل ما أجدره بالتفصيل؟

ج: فاعلموا إن زمان الاستبداد سنّ سنّة سيئة؛ انتهز الفرصة بعض ممن يدعي التشيخ بقوة الحيلة، وقسم ممن ترأس بقوة السيف فنقبوا وثقبوا ذلك الحوض. فسال زلال حياتنا على الرمال والأرض السبخة، فلم تنبت إلا بعض السئلة والجرارين، حتى يتحيلون بالتنفير عن ثروة الدنيا؛ فيأخذون نبضًا ضعيفًا ليخلّ أظفار من أخذ صيدًا صغيرًا حتى يتخطفوه بمخالبهم.

نعم، من سجيّة كل ملّة لمنفعة الملة أن يفدوا بمقدار من ثروتهم.. فأسفًا أساؤا الاستعمال في السخاوة الملية، وفي الملة الأخرى يتخزّن ما يجري من السخاوة الملية فيسقون

به بستان معارفهم..

وكذا أن من طبيعة كل ملّة حتى يحافظوا على الناموس الملي "الجسارة الملية"، فتلهفًا أن بعض الرؤوس أساؤوا في استعمال تلك الجسارة حتى غاضت وغارت. وأخذ كل بعضًا من ظروفها، وضرب رأس البعض الآخر حتى انكسر وانكسر.

ألا ترون أن ملّتكم تستعد لأن تحافظ ناموس الملة بخمس مأة ألف شجاع شديد الشكيمة ارضعتم الحرب.. مع أن تلك القوة الجسيمة لما انمحت في أرض الاختلاف، استحقتم بها التربية والتأديب.. فان استفدتم من المشروطية ونبهتم فكر الملية وسددتم تلك الثقب، أو جعلتم الثقب مسايل إليه، فتعطوا تلك القوة ليد الدولة كي تصرفها في الخارج؛ فلا ريب انكم تأخذون ثمنها المرحمة والعدالة والمدنية!.

فإن شئتم نتبادل وظيفة، أنا أسألكم سؤالًا..

ج: فاسئل ولا تجد به خبيرًا..

س: هل تقبلون أن يكون الأرمني أشجع منكم؟

ج: كلا ثم كلا.. لم يكن ولن يكون!..

س: فلم يتشجّع أدنى فدائيهم على كتم سره، حتى تمزق ويحرق ولا يسلم رفيقه. مع أن أشجعكم إذا ضرب في صدره حربة، انصب على الفراش أسراره مع دمه. وقد يفدي رفيقه قبل تقطر دمه.. فما هذه التفاوت العظيم؟

ج: نحن لا نعرف كنه ماهيته، ولكن نعرف وجود شيئ يصير الذرة كالجبل ويجعل الأسد تحت قيد الثعلب؟! دونك وظيفتك، لانطيق حملها فأجب أنت...

ج: فعلى هذا فاستمعوا وقلبكم شهيد، فاتحين أذني قلبكم مع أذني رأسكم!

ألا إن فدائيهم لفكر الملية تنبّه.. ولأن همته تمام ملته، صار كأنّه ظرفها. ونفسه وظن لتمام ملّته، فروحه ولو كان عنده غاليًا حلوًا؛ فملته أغلى وأحلى بدرجات. حتى لو كان له ألف روح لأفدى مفتخرًا.. لأنه على نسبة استعداده يتصور عاليًا وإلى بعيد.. وأما أنتم- لاأنتم بعد الشورى،

بل في زمان الاستبداد – أشجعكم كان نائمًا وعيناه مفتوحتان، ماكان يعرف ما الملة و ما ناموسها. اقص ما يتصور انما هو ناموس نفسه أو حيثية عشيرته، أو شرف رئيسه.. فقليل من يفدي روحه بهذه المقاصد التي ليس لها وقع عظيم.. والسبب: قصر النظر وسفيلة الفكر..

أقسم بمن أذلّ الأعزة مثلكم، وأعز الأذلة مثلهم لو تصوّرتم وتفكرتم مثل ما ينظرون؛ لأعلنتم على رؤوس الأشهاد فى العالم المدني شجاعتكم و بسالتكم ولتصاعدتم إلى الطبقة العالية..

ولو تصوّر الأرمني مثلكم قصيرًا وشخصيًا؛ لكانوا لقًا أذلاء، ولما تطاول أشجعهم على أجبنكم!..

أقول ولا فخر: إن أحوالكم وأطواركم تشف عما ورائها من شجاعة لا تجارى وبسالة لاتمارى، بدليل أن أحدكم يستخف حياته ويفدي روحه ولا يبالي لكلمة واحدة، أو ليقال أنه جسور، أو لاستعظام حيثية رئيسه، حتى لخمسة دراهم.. فعجبًا لمن لم يبالي بفداء روحه لهذا الجزئيات؛ كيف لا يفدي ولو كان له ألف روح للملية التي ثمنها

ملايين وخزائن؟!

أجل، بكمال التأسف والتلهف أقول لكم: إن أخلاقنا العالية لما رأت كسادها عندنا، نفرت منا والتجأت إليهم وإلى الأجانب. ورزائلهم لما عرفت رواجها فينا، تداخلت إلينا...

ألا ترون أن فدائيًا منهم يقول: "إن متُّ فلْتَحْيَ ملتي، إن لي فيها حياة باقية!"

يا هؤلاء المغبونون! تعرفون ما هذه الكلمة الحمراء إن هي إلا أس الأساس في الكمالات والترقيات، مع أن هذه الخصلة مالنا ونتيجة ديننا الحق.. مع أن بعضًا منا يقول: "إن متُّ عطشًا فلا نزل القطر. وإن لم أر السهادة، فلتكن الدنيا كيف شاءت!"

فانظروا واعلموا! أن هذه الكلمة الحمقاء ما هي إلا من. فلتات عدم الاعتقاد بالنشأة الأخرى، تداخلت إلينا منهم ككثير من رزائلهم. وإليكم القياس!..

نعم أن أحمد خصلتنا و أصدق فضيلتنا وما يعمر وطننا

وما يوحى إليه ديننا ذوالنورين في الدراين، وما تلوح به فطرتنا العلية أن نقول : "إن متُّ فلأكن فداءً ولتحيا الملة، وتبقى الإسلامية خالدة، والعمر الأخروي يكفيني.. وسعادة الإسلام وصلاح الدين أجل وأجمل وأحلى ما تشتهيه أرواحنا وتلتذ بطيف تلك السعادة بعد خلع جسدها، فلتكن الحياة الفانية فداء للحياة الباقية، والموت يوم نوروزنات"..

س: كيف نحافظ على ناموس الملة وكيف نجمع قوتنا كي نتقوّى؟!.

ج: فاحفروا في المعرفة والمحبة بمحفار فكر الملية حوضًا في جوف الملية، وسددوا بالمعارف الثقب التي تسرق وتسيل الماء من تحت ذلك الحوض، وافتحوا بالفضيلة الإسلامية المسايل التي تصب الماء إلى ذلك الحوض!. ها أنا أريكم عينًا معينًا إلى الآن كانت ضايعة جارية في الأرض السبخة الرملية، وما كانت تنبت إلا السألة والعجزة. فإن شيدتم لها مجرى حسنًا ، تنصب إلى ذلك الحوض لأفاضتكم فائدة آية فائدة.. ولأسقت جنان

كمالاتكم.. وتلك العين لاتعمى ولاتعوز ولاترمد، بل هي نظّارة قوّارة جارية!..

س: فيا للعجب ما هي تلك العين؟

ج: الزكاة!.. لأنكم شافعيون..

س: حبّذا ونعمت، إن لم تذهب غائضة، بل فاضت إلى تلك الخزينة ؟

ج: أجل إن فيكم ذكاوة إنما تتزاهر بالزكاة.

س: كيف؟

ج: لو أعطي الأذكياء زكاة ذكاواتهم والأغنياء ولو زكاة زكاتهم لمنفعةالملة لأفلحت..

س: ثم ما يشفعها؟

ج: يعين تلك العين منقع لا ينشف وهي الإعانة الملية الإسلامية، أعني الصدقات والنذور.

س: لِمَ تزيف كثيرًا من العادات المستمرة؟

ج: لأن لكل زمان حكمًا،وهذا الزمان قد حكم عل بعض

تلك العادات الهرمة الشيخة بالنسخ، لأن مضراتها ترجحت على منافعها، وهذا الترجيح يفتي بنسخها.

س: ما أول اللازم علينا؟

ج: الصدق.

س: ثم؟

ج: عدم الكذب.

س: ثم؟

ج: الصداقة.

س: فقط؟

ج: أجلّ!.

س: لِمَ؟

ج: الكفر كذب، والإيمان صدق!.. ألا يكفيكم هذا برهانًا: أجل/ جير، كفي به شاهدًا على أن حياتنا باحياء الصدق.

س: أليس يلزم أولا إصلاح الرؤوس؟

ج: نعم كما أخذ الرؤوس والرؤساء مالكم، أخذوا عقولكم في جيبهم أو حبسوها في دماغكم.

فيا أيها الرؤوس والرؤساء! إياكم والتكاسل، إياكم والتواكل! وعليكم بالخدمة بمالنا وعقلنا الذين في أيديكم. إذا أنكم أخذتم أجرتكم باستخدام هؤلاء المساكين، فعليكم بالتدارك والتلافي لما ضيّعتم في الصيف!..

س: يتراآى لنا منذ سنتين تنبّه حس الديانة وميلان الحق، حتى نرى في هذه العشائر البدويين لاسيّما "گوْدَان ومَامْخُورَانْ" قد تاب أهل الشقاوة منهم توبة نصوحاً بنصيحة من الشيخ أحمد، وقد قطع هذا الميل الطريق على الشقاوة؟ فما السر فيه؟

ج: ما أرشدهم إلا الشيخ الشورى، لأنه لما جلس المشروطية على سرير الحكومة هزّت الحبل المتين الذي هو الملية، فاهتزت فيها العروة الوثقى النورانية التي هي الإسلامية. فإذا تنبّه المسلمون وعرفوا أنهم ليسوا هملاً منفردين بأنفسهم غواربهم على عوانقهم، بل بعضهم مربوط ببعض بالرابطة النورانية والمنفعة المشتركة كعشيرة

واحد، سواءً كان حسنة أو سيئة لا تنحصر على صاحبها؛ بل تتجاوز إلى ملايين من النفوس..

مثلاً: ألا ترون أن فردًا من هذه العشيرة إن جنى جناية صار كل العشيرة متّهمين، وإن فعل ناموسًا افتخر كل العشيرة به؛ كأن كل فرد فعل تلك على حدة..

وكذلك السيئة الواحدة الآن تتصاعد إلى الألف بهذا السر... وإن الحسنة المنفردة تصير ﴿ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّأَةُ حَبَّةٖ ﴾ هذا هو السر، وإن لم تتصوّره الأفكار ولم تتفطن له العقول.. إلا أن الأرواح أحست بها، لاسيما أرواحكم الصافية القريبة إلى الفطرة الأصلية. وليس بعجيب أن لا يرى العقل على رأس المنارة هذا الحس العجيب الدقيق الرقيق في قعر بئر الوجدان!

فمن هذا السر تحصل فيكم ميل البكاء بالتوبة، حتى رأيتم الشر شرًّا والخير خيرًا؛ فبكيتم الآن بما كنتم لاتبكون بألف من مثله قبل..

فبشرى لكمبأن هذا السر يسري إلى كل المسلمين وسيتحسسون بذلك الحس الذي له شأن عظيم، ويستعدون شيئًا فشيئًا لتظاهره أيها البدويون لكم الفضل بالسبق بأصالة فطرتكم الجوّادة، ولكم الشرف ملأ خيامكم السوداء التي ستنقلب قصورًا بيضاء...

س: إكرام الضيف عادة مستحسنة، وقد أكلَ عليه الدهر وشرب! فلم تزيف عادتنا هذه، لا تضيف عندنا ولا تخلي رفائك حتى نضيفهم، مع أنه حقكم وهو دين علينا؟

ج: **أوّلاً:** العلم عزيز لا أحب أن أذله.. وأريد أن أريكم أن من أهل العلم من لايتنزل للدنيا، ولا يصير العلم صنعة تعيش بها. وأن الطلبة غير السئلة والجرارة..

وثانيًا: أريد أن أعطي درسًا فعليًا لبعض المأمورين الذين قنعوا في الوظيفة، وزهدوا في القناعة.. ولم يأخذ بيدهم عن الرشوة معاشهم، ولم يصرفهم عن التضيف مصارف سفرهم..

وثالثًا: أريد أن أرى طريقًا لسدّ باب المصارف التي تنجرّ

إلى ظلمات الظلم للرؤساء الذين انسد مجاري وارداتهم الغير المشروعة..

ورابعًا: أريد أن أريكم مقياسًا ومحكًا لمن يدورون فيكم؛ أهم نفسيون، أم مليون؟ أهم بالحيلة، أم بالحمية؟!.

س: هل هذا إلا منع لإحسان الخلق ودفع لسخاوتهم؟

ج: في مذهبي؛ الإحسان إنما يكون إحسانًا ان كان للنوع أو لما يمدّه.. وإلى الفرد إن لم يكن مضطرًا أساءة من جهة.. والسخاوة إنما تكون سخاوة، إذا كانت للملة أو لمتضمّنها. وإن كانت للشخص، تعود الشخص التنبلية والجرارية وسوء الخلق!..

الحاصل: الملة باقية وما أمدّها، والفرد فانٍ وما يتمثّله..

س: ما تقول في الإحسانات الشخصية في السلف أمناء الأمة، ورشدائها، وسيوف الدولة وصلاحها تجلّت العبوسية بمكارمها بإهداء عشرة دنانير لشعر لايوازن شعيرة؟

ج: فيه ما فيه! مع أنها بالآخرة قد انجرّت إلى النوع

والملة، لأن اللسان خيط الملية، مع أن هذا الزمان هو الذي كشف عن احتياج الملية وفتح الباب لهذا المقصد العالي.

س: إن الرؤساء تساقطوا بأنفسهم وقد انسدّ باب الظلم عنهم، فلم طفقت تضربهم ولا تخلي أن يتموا سكراتهم؟

ج: لأدرسهم سنّة الشورى حتى يتمثّلوها إن لم يموتوا. نعم قد تساقطت قوى الرؤساء الذين تربّوا بالإستبداد. إلا أن بينهم حماة للملية فنشكرهم، و متكاسلين فنشكو هم، و متحيّرين فنرشدهم، وأمواتًا فنحافظ على ميراثهم لئلاّ يأخذه من!..

س: ما هذا الهجوم على الأموات و الرؤوس المقطوعة؟

ج: خوفًا من أن يرثهم إخوانهم الذين يدّعون التشيّخ والإرشاد بلا أهلية، فيحصل بلاء ذو رأسين!. لأن ما فيكم من الجهالة العوراء والإطاعة العمياء يعطي الآغائية والتحكّم حكم التناسخ. كأنه إذا مات بصورة الآغائية، أخاف أن يحي بصورة الأفندية والتشيخ أو الأصالة في

النسب.. ومقصدي الآن أن أقتل ميل التحكم، وميلان الرياسة، وميل التفوّق على صورة لا تحشر إلى يوم القيامة..

س: فلم تهجم عليهم وقد كنت محبًّا للشيوخ المرشدين، حتى فد أحسنت الظن في حق المتشيخين أيضًا؟

ج: قد يكون العداوة من شدة المحبة!.. أجل، جير، كما أحببتهم لنفسي، فقد عشقتهم وأعشقهم لنفس الإسلامية. "ولقد انتقش في سويداء قلوبهم الطاهرة الصبغة الربانية وفي خلدهم ضياء الحقيقة"..

ندیمان بادها خوردند ورفتند

تهی خمخانها کردند ورفتند

ألا إن أس أساس مسلكهم إنما هو تنوير القلوب وربطها بالفضيلة الإسلامية والسلوك عليها.. أعني الحمية الإسلامية والتختم بها.. أعني ترك الحياة والزهد فيها للإسلامية.. أعني ترك المنافع الشخصية للإخلاص فيها.. أعني تأسيس المحبة العمومية والتوجه إليها.. أعني خدمة

الاتحاد الإسلامي والإرشاد إليها!..

فتأسفًا قد أساؤا متكئين وتكاسلوا في خدمتهم، فحينئذ أريد تحويل هممهم إلى مجريها الحقيقي القديم.

س: هلاّ سكتّ من زمان لم يستمع الخلق؟

ج: لأن الاستبداد كان سدًا لإتحاد الإسلامية، فسكتّ على جمر الغضى.

س: الهجوم عليهم خطر يخشى عليك من الهلاك، لأن فيهم أولياء؛ ألا تخاف ﴿ اَنْ تُصِيبَهُمْ بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُم مِنَ النَّدِمِينَ؟ ﴾

ج: إن المولى جل جلاله قد وسم بقدرته على جباههم الرفيعة نقش الحقيقة!. ومرادي أن أرشد من طاش فهمه من ذلك النقش.. فهجومي لهم لا عليهم، لئلاّ ينزل قيمتهم من يتزيا بزيّهم بغير حق..

فعلى هذا، أعلن ولا أبالي: إني على عزم أن اقتحم المهالك أية كانت لسلامة الإسلامية، وما قيمة حياة يفديها أدنى أرمني لملته، وكيف أخاف عليها على أن الفداء

بالحياة الدنيوية عندي ليس بشيء. لأن هذه سبع مرّات بل أزيد أراد هذا الروح أن يطير من يدي إلى الشجر، ويفر العقل من رأسي إلى اليأس،فأبقاها الله تعالى عندي أمانة. فإذًا ليس لى فيها حق أصلاً، فإفدائها ليس فيه منّة.. إلا أن لي حياة أخروية لو وقعت في الهلاكة أيضًا، لما أحجمت عن مقصدي.

نعم، أنادي على رؤوس الأشهاد أني مبارز بالحياتين:

فلتكن الحياتان فداءً للإتحاد الإسلامي!. فإن دعوا على تلك الروح المحترقة الآن بنار التأسّف لتحترق في نار جهنّم فليكن ولا أبالي.. لأن الوجدان يتضمّن من المقصد فردوسًا، والخيال من الامل جنة..

س: ما تطلب منهم؟

ج:الاخلاص الذي يدمدمون به، والحمية الإسلامية التي هم مرابطون لها، وترك إلتزام النفس التي هم مأمورون بأمانتها، وترك المنافع الشخصية الذي هو معنى الزهد الذي هو شعارهم، والمحبة التي هي مزاج الإسلامية. ها

أنهم قد أخذوا منا أجرتهم باستخدامنا.. فالآن نطلب العمل والخدمة منهم.

س: كيف يكونون؟

ج: إما أن يرفعوا ويندفعوا من رؤسنا،أو يرفعوا العناد والغيبة وإلتزام النفس من بينهم. لأن هذا الحال قد جنى على الإسلامية جناية.

أجل، ان من الأسباب لتشكل فرق البدعية والضلالة؛ بعض المتشيخين الذين أساؤا حيث ظنوا أنهم يحسنون

س: كيف يتحدون و يتفقون وقد ينكر بعضهم بعضًا، ومن قوانينهم أن محبة المنكر حرام، حتى الأنسية معه، و مسئلة الإنكار مهمة؟

ج: فحينئذ لي حق أن أخاطبكم هكذا: أيها الحمقاء واياها الحيوانات! أما سمعتم أو ما علمتم ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ** ﴾ ناموس إلهي!. وهل تعاميتم عن أن "لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ" دستور نبويّ!..

فيا للعجب! هذا الإنكار الواهي مع تردّدها بين الصدق

والكذب كيف يطيق أن ينسخ ويقتدر أن يقلع هذين الأساسين العظيمين ؟!

ألا إن مسئلة الإنكار ليست كلام الله تعالى حتى لا يقبل النسخ! فاعلموا أن هذا الزمان قد نسخ ذلك الإنكار بفتوى غلبة ضرّه على نفعه، والعمل بالمنسوخ لايجوز والسلام.

س: ألا يمكن أن يكون العداوة بينهم لرؤية بعضهم عن بعض حركات غير مشروعة؟

ج: عجبًا بأي سبب تغلب أسباب العداوة – التي هي كحجيرات صغيرة، وكتحجّج الصبيان – وتثقل على أسباب المحبة التي هي الإيمان والإسلامية والجنسية التي هي كجبل سبحان!..

س: ما الفرق بين الشيخ الولي، والمتشيخ؟

ج: إن كان هدف مقصده اتحاد الإسلام، ومسلكه المحبة، وشعاره ترك إلتزام النفس، ومشربه المحوية،وطريقه الحمية الإسلامية يحتمل أن يكون شيخًا مرشدًا.

وإن كان يريد أن يظهر مزيته بتنقيص غيره، ويصوّر في

خيال أتباعه خصومة الغير في صورة محبتهم لنفسه، ملقيًا إلى أذهانهم أن محبتهم تستلزم خصومة الغير المولّد ذلك التصوير لميلان الغيبة وإلتزام الطرف الذي يستلزم إنشقاق العصا وينبّه الأغراض؛ إن هو إلا متشيّخ مترأس وذئب متغنم.. يضرب الطريقة أو الكتاب بدل الطبل ليأخذ الهدية والشاباش. يصيدون الدنيا بالدين، فإما لذّة منحوسة أو تهوّس سفلي أواجتهاد خطأ ورّطه وخدعه. وهو يظن أنه يحسن، ولا يشعر أنه قد أساء على المشايخ الكرام والذوات المباركة بفتح الباب لسوء الظن في حقهم!..

س: كلامك حسنٌ أين من يسمع.. وهذا المسلك عال أين من يتبع؟!

ج: "مَا لاَ يُدْرَكُ كُلُّهُ لاَ يُتْرَكُ كُلُّهُ". ﴿ إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ ﴾. إن الملام على منِ اتّبع الهوى. والسلام على من اتبع الهدى.

س: ما رأيك في الإختلافات المدهشة بين العالم الإسلامي؟.

ج: إن العالم الإسلامي في نظري كمجلس المبعوثين الذي لم ينتظم،كمجلس الشورى الذي اختلّ نظامه. وما نسمع من الشريعة تقول: إن رأي الجمهور هذا، وعليه الفتوى؛ إنما هو نظير رأي الأكثر في ذلك المجلس.. وما عدا رأي الجمهور من الأقوال إن لم تكن خالية من الحقيقة و المغز تفوض إلى رأي الإستعدادات لتنتخب ما يناسبها ويربيها.

ألا أن كل قول مقيد في نفس الأمر ومخصّص بالاستعداد الذي انتخبه، إلا أن إهمال صاحبه أطلقه، وإلتزام متبعيه عمّمه، وتعصّب مقلّديه أوقع المصادمة بينه وبين أخواته التي تعششت على الأمزجة التي مدّت يد المحبة إليها؛ فانتجت المصادمة والمشاجرة والجرح والردّ..

وكذا أن القول الذي لم يغلب ما فيه من الحقيقة والمغز على ما في الاستعداد الذي انتخبه من التهوس والهوى، أو التدين الموروث على خطر. لأنه بدلاً عن أن يتصبّغ هذا بذاك؛ ينقلب إليه ويتصور به؛ يتلقح ذاك بهذا، ويتحول الهدى إلى الهوى، ويتشرب المذهب من المزاج.. إن

النحل يشرب الماء فيمج عسلاً. والحية تشرب وتتقيأ سمًّا!..

بشرى لكم أن العالم الإسلامي سيصير مجلس الشورى في الملة الإنسانية، وستنتظم الشورى بين السلف والخلف..

س: قد كنت قبل الانقلاب بعشرة سنين في بعض الأحيان معترضًا على الهاجمين على الحكومة، حتى كُنْتَ مادحًا للسلاطين العثمانية؛ وفي بعض الأوقات في ذلك الزمان قد كُنْتَ قلت:"يحتمل أن يكون السلطان عبدالحميد لايقتدر أن يرخي العنان، ويمكن أن يكون معذورًا بخطأ اجتهاده أو بكونه كالمحبوس في أيدي أعوانه"، لِمَ صرت معترضًا على المعترضين على الحكومة، مع أنك كُنْتَ أشد منهم اعتراضًا عليها؟!

ج: أقول: قبل هذا بستة عشر سنة صادفت من أرشدني إلى الحق، وما أراني المسلك المقتصد. وقد استيقظت في ذلك الزمان برؤيا "كمال" المشهور.. إلا أني بسوء التصادف صادفت من المهاجمين على الحكومة أهل الإفراط

والتفريط، فقسم منهم كانوا يضللون الأتراك الذين هم قوام الإسلامية بعد العرب، حتى قد تجاوز بعض جهلاء ذلك القسم إلى تكفير أهل القانون؛ محتجين بوضع القانون الأساسي والحرية قبل هذا بثلاثين سنة، مستدلّين بـ﴿ مَن لَّمْ يَحكُم بِمَا أَنْزَلَ اللهُ.. الخ ﴾ ولم يعرفوا "من لم يحكم" بمعنى "لم يصدّق".

فيا للعجب! كيف لا أعارض من ظن الاستبداد السابق حرية وقانونًا أساسيًا، لرؤية هذين الإسمين في بعض الدساتير؟ ومن هذا القسم من شرعوا الآن يضللون أهل الحرية..

والقسم الثاني: صادفت بعضهم لا يعرفون الدين، بل كانوا معترضين على المسلمين محتجين بتعصبهم! وها أن هؤلاء هم الذين يريدون الآن ان يتمثلوا بأوروبا بتمامه متجردين من العثمانية..

وأيضًا، كما خدعكم الاستبداد لمحافظته، ووسوس إليكم بأن أكثر أهل الاختلال من الماصونيين؛ كذلك قبل الانقلاب بعشرة سنين خدعني أيضًا.. حتى وقعت في الشبهة. لله الحمد ما تقرّرت الشبهة، حتى تجلّى لي أن

أكثر الأحرار فينا مسلمون مثلنا.

الحاصل: بعضهم كانو يقول: "حيدو! حيدو!"، وبعضهم "حيدر آغا! حيدر آغا!"، كما الآن كذلك.. وأنا قلت: "حيدر! حيدر!" والسلام!..

اسكتوا أيها العوام حيناً، حتى أتكلم مع الخواص.

❁❁❁

هذه مناقشة ودعوى مع طبقة الخواص

من الاتحاديين والحكومة و الأشراف

أيها الخواص! ندعي منكم حقّنا!

س: ما تريدون؟

ج: نريد أن تصدقوا قولكم بفعلكم، ولاتعتذروا بقصور غيركم، ولا تتواكلوا فيما بينكم، ولا تتكاسلوا في خدمتنا الواجبة عليكم، وأن تتداركوا ما فاتنا بكم، وأن تستمعوا وتستشيروا حاجاتنا نطلب منكم؛ تأمين استقبال الفقهاء والعلماء! ونطلب نصيبنا من معنى الإتحاد والترقي، لا الإسم.. ندعي ما يخف عليكم وهو عظيم عندنا..

س: ما هو سؤالك؟

ج: أخت الجامع الأزهر المسماة بـ"مدرسة الزهراء" المتضمنة لدار الفنون في "بيتليس" ورفيقتاها في "وان" و "دياربكر"؟

س: ما؟ كيف؟ كم؟

ج: لها شرائط تربية، ومجاري واردات، ومحاسن ثمرات!..

س: ما الشرائط؟

ج: ثمانية.. الأول: التسمية باسم المدرسة، لأنه مألوف ومأنوس ومنجذب إليه. ومع كونه عنوانًا اعتباريًا يتضمن حقيقة أية حقيقة يهيج الأشواق وينبه الرغبات.

الثاني: مزج العلوم المدارس بالفنون الجديدة، ودرجها فيها مع جعل اللسان العربي أساساً واجبًا والكردي جائزًا والتركي لازمًا...

س: ما حكمة المزج؟

ج: لتخلص المحاكمة الذهنية من ظلمات السفسطة الحاصلة من أربعة أقيسة تمثيلية تُذْكَرُ في الحواشي[1] وتغليط الملكة الفيلسوفانية للتقليد الطفيلي..

س: كيف؟

ج: ضياء القلب هو العلوم الدينية، ونور العقل هو الفنون المدنية.. فبامتزاجهما تتجلى الحقيقة، وبافتراقهما يتولد الحيل من هذا، والتعصّب البارد من ذاك!..

---

[1] أحدها: قياس المعنويات على الماديات حيث يقولون: أن الأوروباويين كما أنهم ماهرون في الصنائع ونحوها ويقتدى بهم فيها، ماهرون في العقائد أيضًا، ولابد أن يعتبر أقوالهم فيها أيضًا...

والثاني: قياس المهارة في بعض الفنون على المهارة في بعض الآخر.

والثالث: قياس جهالة بعض العلماء في المسائل الدينية على جهالتهم في الفنون الجديدة، أو قياس مهارة نفسه في العلوم الدينية على مهارته في الفنون الجديدة.

والرابع: قياس السلف والماضي على الخلف والحال!..

لأخيه عبدالمجيد (رحمه الله)

الثالث: أن ينتخب المدرسون فيها، إما من علماء الأكراد ذوي الجناحين، لأنهم عندهم معتمدون. أو ممن يعرفون اللسان المحلي ليستأنسوا بهم.

الرابع: أن يستشار مع استعداد الأكراد ويجعل صباوتهم وبساطتهم نصب العين. وكم من لباس يستحسن على قامة، يستقبح على أخرى.. وتعليم الصبيان إما بالقسر، أو بجذب هوساتهم.

الخامس: تطبيق قاعدة الأعمال بتمامها فيها، ليكون بعض الشعب مدخلاً أو مخرجًا للآخر. حتى يخرج من كل دائرة متخصّصون مهرة..

السادس: تأمين مخرج وتفيض لمداوميها حتى تتساوى المكاتب العالية الرسمية في امتحانها، ليكون امتحانها كامتحانها منتجًا لا عقيمًا..

السابع: مزج دار المعلمين وجعلها مركزًا لتلك المدرسة، ليسري الانتظام والتفيض من هذه إلى تلك، والفضيلة والديانة من تلك إلى هذا!..

الثامن: تبديل التعلم الانفرادي بالدائرة.. فلا تحسبوه هيّنًا، لأن هذه عادة درس عليها الدهر ودرّب!..

س: ما مجاري الواردات؟..

ج: الحمية والغيرة..

س: ثم؟

ج: إن هذه المدرسة كنواة تتضمّن بالقوة شجرة الطوبا، فان اخضرّت بالحمية والغيرة استغنت منكم بإنجذابها لمادة حياتها..

س: بأي جهة؟

ج: بجهات!..

الأول: لو انتظمت الأوقاف بحقها، لأسالت بتوحيد المدارس إلى هذه الحوض عينًا معينًا.

الثانية: الزكاة.. لأننا شافعيون، فإذا تظاهرت بعد حين خدمة تلك المدرسة الزهراء للإسلامية والإنسانية توجّهت ولا ريب إليها الزكاة.. مع أنه إن توجهت زكاة الزكاة

لكفت..

الثالثة: إن هذه المدرسة إذا نشرت ثمراتها وعممت ضيائها وحسنت خدمتها للإسلامية؛ تتصور عند العقول أعلى وأجل دار أسّست للعلوم، وتتشكّل عند القلوب زاوية ملية مقدسة، وعند أهل السياسة مكتبة منورة.. وتصير كما أنها مدرسة ومكتبة وتكية؛ فحينئذ تمدها الإعانات الملية الإسلامية، الذاهبة درج الرياح. أعني النذور والصدقات.

الرابعة: بامتزاجها بدار المعلمين للتبادل المذكور وارداتها مع توسيع بهمة الحكومة تصير واردات، حتى تستغني فترد العارية بعد حين..

س: ما الثمرات التي هيجتك وأمرتك بطلب تأسيسها قبل هذا بسنين؟!

ج: ليست بواحدة.. اجمالها تأمين استقبال الأكراد والعلماء!

س: فصّل بعضها؟

ج: منها: توحيد المدارس وإصلاحها.. منها تصقيل

الإسلامية ذلك السيف المهند وجلائها ذلك الألماس من الحكايات والإسرائيليات والتعصبات التي لامحل لها من الإعراب..

نعم، في الإسلامية صلابة دينية.. وهي المتانة والثبات وإلتزام الحق. وأما التعصّب فإنما ينشأ من الجهل وعدم المحاكمة.. فلا يظنن بعض مقلّدي أوروبا؛ إن بتدني المدارس يزول التعصّب، كلاّ، بل بالجهل يتشدّد!. على أن التعصّب شأن هؤلاء المقلدين الذين يصرّون على شبهة، وليس التعصب شأن العلماء الذين تقلّدوا بالبرهان..

منها: فتح باب ينتشر منها إلى العالم الإسلامي محاسن المشروطية. ألا لله الحمد لا يوجد في الأكراد فكر يجرح المشروطية.. إلا أنهم لم يستحسنوها ما استفادوا منها. إذ المريض إذا عرف الترياق مسممًا اجتنب ولم يشف. فهذه المدرسة ترى طريق الاستحسان..

منها: فتح طريق لجريان المعارف إلى المدارس.. وفتح منبع صاف لا يتنفر منه أهل المدارس، لأنه إلى الآن قد صار تفهّم سيئ وتوهّم مشؤوم سدين للجريان..

منها: مصالحة أهل المكتب وأهل المدرسة وأهل الزاوية وتمايل أفكارهم وتبادلها واتحادها في المقصد..

أجل، إنهم هم الذين فرّقوا الاتحاد بتباين أفكارهم وأوقفوا الترقيات بتخالف مشاربهم.. لأن كلاً منهم بحكم التعصّب لمسلكه، وسطحيته لمسلك الآخر طفقوا يجهل ذاك هذا بتفريطه، ويضلل هذا ذاك بإفراطه..

الحاصل: إن الإسلامية لو تمثلت لكانت قصرًا مشيّدًا نورانيًا أحد منازلها مكتبة، وإحدى حجراتها مدرسة، وأخرى زاوية، ورواقها مجمع الكل.. ومجلس الشورى بينهم يكمل البعض نقصان البعض.. وكما أن المرآة تمثل الشمس، كذلك إن هذه المدرسة تمثل في الخارج ذلك القصر الإلهي!.. يا أيها الأشراف! فاخدمونا كما خدمناكم وإلا.. ويا أهل الحكومة الذين تدعون الوصاية بعدم رشادتنا، فاعدلوا وارشدوا كما نطيعكم وإن لم!..

أيا أهل الاتحاد والترقي!فاستقيموا واعلموا كما تأمركم الوظيفة المهمة، لأنكم تعهدتم وتحملتم وظيفة جمعيّة الأكراد الملية بمزجها بكم فقد كنتم أحسنتم، فإن تحسنوا

فبها.. وإلا فردوا الأمانات إلى أهلها!..

س: إن كانت نيتك جالصة توفق، وقليل من يخلص النية فانظر نيتك؟

ج: لله الحمد ولا فخر! إن عناصر الغرض التي تخل إخلاص النية (وهي النسل والنسب، والطمع، والخوف) لا يعرفني ولا أعرفهنّ.. وأما الشهرة فقد مللت منها. وأما التجارة الأخروية فما ربحت فيها. وأنا على جناح سفر أظن يخسرني في تلك التجارة. لأني قد عهدت على نفسي، إني لأسلك ذلك الطريق ولو ضاعت التجارة برأس مالها!..

س: كيف تتبرّأ عن عناصر الأغراض؟.

ج: لأنه ليس لي نسب مشهور حتى أحافظ على ماضية.. ولا نسل حتى أمهد استقباله، لأني أبو لاشيء... ولي جنة لم يتقدر ديوان الحرب يدهشته أن يداويها بتخويفه.. ولي جهالة صيّرتني أمّيًا لا أقرأ نقش الدينار والدرهم.. ولي شهرة كاذبة تجاوزت حدي بمراتب، قد استعفيت عنها

لتحميلها عليّ وظائف لا أتحمّلها. مع أنها ليست محبوبة لذاته، بل لصيرورتها مقدمة لتلك العناصر.

س: لِمَ تحسن الظن كلما أمكنك؟

ج: لأنكم تسيئون الظن كلّما تيسر لكم. وأنا بسر "أنا عند ظن عبدي بي" أحسن الظن.. فإن كانوا كذلك، فذاك.. وإن لم، فليكونوا كذلك!.

س: ما رأيك في حق الاتحلد والترقي؟

ج: أما السياسيون منهم فأنا من المعترضين على شدّتهم.. وأما شعباتهم الاقتصادية والمعارفية فأنا من المستحسنين لهم.

س: ما سبب وقوعنا في زندان العطالة؟

ج: إن الحياة جدال، وإن الشوق مطية السعي.. فإذا خرج أحدكم إلى الميدان فاول ما يصادفه اليأس ذلك العدو الألد، فيكسر قوته المعنوية.. ثم يبارزه ميل التفوّق الاستبدادي القائم مقام خدمة الحق التي لاتزاحم فيها، فيضرب رأسه فيسقط من مطيته.. ثم يزلقه العجولية التي تشوش ترتب العلل المتسلسلة. ثم يكسر ظهره تكاسل

غيره. ثم يهجم فيفرق آماله فكر الإنفراد وعدم ملاحظته ارتباط حقوق كثير به، لأنه إنسان.. ثم يضرب على يديه ويقعده التواكل و التفويض. ثم يلطم وجهه، حتى يعميه مداخلة وظيفة الله. ثم يقيده ويرميه في زندان السفالة أم المشقات، أعني ميل الراحة...

س: من يبارز هذه الأعداء؟

ج: ﴿ لاَ تَقْنَطُوا مِن رَحْمَةِ الله ﴾ ثم ﴿ كُونُوا لله ﴾ ثم ﴿ اصبروا متأنين ﴾ ثم ﴿ لاَ يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾ ثم ﴿ خَيرُ النَاسِ أَنفَعَهُم لِلنَاسِ ﴾ ثم ﴿ عَلَى الله لَا غَيرِهِ فَلْيَتَوَكَّلِ المتَوَكِّلونَ ﴾ ثم ﴿ اسْتَقِمْ كَمَا أُمِرتَ وَلَا تَتَأمر عَلَى سَيِّدِكَ ﴾ ثم ﴿لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى﴾ إن لكم في المشقة لراحة..إن الإنسان المتهيج فطرته، راحته في السعي والجدال!...

هذه السؤال من لم يعرفني من أهل البلاد

س: أنت تاجر؟

ج: نعم كيماوي وتاجر.

س: لماذا؟

ج: لمادتين إذا امتزجتا يتولّد منهم الترياق الشافي والالكتريق المضيء.

س: أين هما؟

ج: في طبق صدفي يسمى بالقلب، وهو في صندوق يمشي على رجلين مكتوبًا على جبهته إنسان، يباع في سوق المدنية..

س: ما المادتان

ج: المحبة والحمية

جريدة سياره، أبو لاشيء، ابن الزمان، أخو العجائب، رفيق الغرائب، بديع الزمان..

سعيد الكردي النورسي

الخطوات السّتة

لبديع الزمان سعيد النورسي

ملاحظه : إنتشرت هذه الرسالة في سنة ١٩٢٠ عند إستيلاء وتسلط الانكليز على إستانبول باللغة العربية و التركية. فقد أطفأت نار فتنتهم و عقمت دسائسهم. وهي من تأليف الاستاذ المجدد بديع الزمان سعيد النورسي.

-الناشر-

الخطوات السّتة

أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ

﴿ وَلاَ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ﴾

إعلم: أنّ لكلّ زمان شيطاناً إنسيًّا وكيله، أو شيطان لبس صورة إنسان فرد أو روح جماعة. و عزازيل زماننا الذي هو الرُّوح الغدَّار, الذي نشر نار الفتنة في العالم، بسياسته الفتّانة.. يُفسد العالم الإسلامي بـ"خطوات ستّ" فيتحرّى في الأناسيّ و في الجماعات "المنابع الخبيثة" فيستعملها.. و يتوسّم في الطبايع "المعادن المضرّة" فيستخرجها ويستخدمها بوساوسه الفعليّة.. و يتفطّن للأعصاب الضعيفة والنقط الغير المقاومة فيضبطها... فيستعمل من بعضٍ حرص الإنتقام. و يحرّك من بعضٍ حرص الجاه. و يهيّج

من بعض حسّ الطمع. و يستخدم من بعضٍ الحمق. و من بعض الالحاد.. و من العجيب، يستعمل من بعضٍ التعصّب، فيتّخذها واسطة وسوسته.

الخطوة الأولى

يوسوس بالذات أو بالواسطة: بـ" أنكم تعترفون أنكم مستحقون لهذه المصيبة.. فأنّ الْقَدَرَ يَعْدِلُ وَلاَ يظلم, فإذا استحقتم فاارضوا بما أعاملكم به..لانّى واسطة لِما استحقتم!"

فنردّ هذه الوسوسة؛ بأن القدرَ الإلهي يعطي المصيبة لعصياننا، فالرضاء بها عين التوبة عن سبب المصيبة وهو الذنوب! و إنّك أيّها الواسط تظلمنا لأنّنا مسلمون، وتصيبنا بظلمك لإسلاميتنا. فالرضاء بما تعمل، او الانقياد بالاختيار؛ ندامة –العياذ بالله– عن الإسلاميّة و إعراض عنها.

نعم، الشيء الواحد يكون ذا جهتين: مصيبة من جهة القدر فتكون عدالة لترتّبه على السبب الباطني من الذّنب والشرّ زجرًا عنهما, فالرضاء متضمن للندامة.. وذلك الشيء من

جهة مجيئه من يد البشر ظلم. لأنّ السبب عنده ليس كوننا مذنبين، بل كوننا مسلمين.. فالرضاء به من تلك الجهة أعظم الجنايات.

الخطوة الثانية

يوسوس:ب "أنكم إتّفقتم مع من هو مثلي، فلا تتجنّبوا من المصافاة معي!"

فنقول: يقبل يد المعاونة، ولا يقبل يد المعاداة!. ولأنّ كلّ صفة الكافر ليست كافرة وناشئة من الكفر، لامشاحة أن يصافح و يؤخذ يدُ كافرٍ مَدَّهَا لمعاونة الإسلام في دفع عدوّه المتجاوز. بل قبولها خدمة الإسلاميّة.

أمّا أنت، فتمدّ اليد الكافرة للخصومة التي لا تسكن، وتريد منّا تقبيلها بالصميميّة، و نعلم أنّ التّماس معها، -فضلاً عن تقبيلها – جناية على اللإسلاميّة.

الخطوة الثالثة

يوسوس: ب :"أن من ساسوكم الى الآن أفسدوا وشوّشوا عليكم الإدارة و ظلموكم, فلستم رشيدين فاتّخذوني وصيًا!"

فنقول: ايّها الموسوس! إنّ السبب الأصلي لهذه السيّئات في رؤساء أمورنا ما هو إلاّ أنت! لأنّك ضيّقت عليهم الدنيا، و تقطع في كلّ فرصة مجاري حياتهم، وبثت بينهم أولادك الغير المشروعة، و أجبرتهم على ترك الدين للدنيا تنكحهم مدنيةً ما تأخذ مهرها إلاّ من دينهم، وتصير حاكماً تأخذ دينهم رشوة. ومع كل ذلك لو حكمناك بدلاً عنهم, نصير كمثل من تنجّس ثوبه بماء متنجّس فغسله ببول الخنزير. فإنّك لا تُبقي لنا إلاّ حياة حيوانية موقتة سفيلة، وتقتل حياتنا الإنسانية والإسلامية!. أمّا نحن فنحيا على رغمك بحياة الإسلامية وشرف الإنسانية.

الخطوة الرابعة

يوسوس: ب" أنّ الذين يخاصمونني منكم نيّتهم فاسدة, مقصدهم ليس عين مقصدكم الإسلامية!"

فنقول: إنهم وسائل.. و تأثير النيّات في الوسائل قليل، لا تغير حقيقة المقصد. إذ المقصد يترتب على نفس الوسيلة، ولا ينظر إلى ما فيها من النية.

مثلا: إني احفر أرضًا لاستخراج الماء أو الدفينة، فجاء أحدٌ حَفَرَ معي بنية أن يستر نفسه أو يدفن فيه مزخرفاته. فخرج الماء أو الدفينة, فنيته لا تسكّن الماء. لانّ الماء ينظر إلى فعله ومحفره.. ولا ينظر إلى قلبه و نيّته.

نعم إن هدف المقصد للمخاصمين لك أن يوجّهوا الإسلام (أي المسلمين) إلى الكعبة، لا إلى الغرب.. ويحافظوا على مرتبت القرآن، الآمر باعلاء "كلمة الله" بالعزة الإسلامية. ويقيمون خصومة أوروبا مقام محبّتهم التّي هي أساس كل فلاكتنا وسوء أخلاقنا.. فكيف كان نيّتهم لا تتغير هذه المقاصد الثابتة.

الخطوة الخامسة

يقول بنفسه أو بوسائله:"إنّ الإمام يميل إلى المصافاة, فأمره مطاع!"

فنقول إن الميلان الشخصي والأمر الخصوصي والفكر الذّاتي مغاير لأمر أمين الأمة المتقلّدِ أمانة الإمامة. فان هذا الأمر يجيء من عقل ويستند إلى قوّة ويتوجّه إلى مصلحة

العالم الإسلامي.. وعقله شورى الأمة.. وقوته جيشه المسلّح و ملته الحرّة. و في المصلحة إنما ينظر من المحيط الإسلامي إلى المركز، فيترجح الفائدة العظمى.. وإلا فان انعكس، بأن نُظِرَ من المركز إلى المحيط الإسلامي ورُجِّحَ عند التعارض المصلحة القربى على المصلحة العظمى، كسرير السلطنة على إستانبول، وهو على أناضول، وهو على الدولة، وهي على العالم الإسلامي.. فهذه الترجيح لا يطاع!..

الخطوة السادسة

يوسوس: بـ "أن مقاومتكم لا فائدة فيها، تُلْقون بأيديكم إلى التهلكة. كيف تقتدرون وحدكم على ما لا تقدروا مع كل متفقيكم؟"

فنقول:

إن القوة العظيمة المخاصمة لنا إنما تتماسك متخاذلة على رِجْلَى الحيلة والفتنة. فلا نيأس من المقاومة لأسباب ثلاثة:

الأول:

إن الحيلة والفتنة إنما تأثرانِ إذا استترتا تحت حجاب الخفاء والغفلة, فإذا تظاهرتا أفلستا وانطفت قوتهما؛ وتمزق الحجاب بدرجة صيّرت الكذب هذيانا، والفتنة أضحوكة كفتنة (ا.ن.ك.ل.ز).

والثاني:

إن القوة المدوّدة المخاصمة لنا، ليست بلا مخاصم.. ففي مقابلها مخاصم لا يقبل الإئتلاف معها أبدًا، يعطّل ويعقّم من قوتها من المأة تسعين. فيها بقي من قوته لا يمكن أن يديم -كما في الماضي- الاستبدادات المتكاثفة المسكّنة والمسكتة على العالم الأسلامي، المتنبّه الذي اشترك في الداء والدواء.

والسبب الثالث:

إذا كان الهلاك على كلا الحالين؛ فالموت بالعزّة حياة,والحياة بالذلّة موت. فالموت على نوعين: أحدهما

بالتسليم والتذلّل.. فإذاً نصير قاتلين لروحنا ووجداننا بأيدينا, فيقتل الخصم جسدنا كأنه قصاصٌ عن وجداننا.

والنوع الثاني:

أن يحافظ على وجدانه ويقوم مقابل خصمه، و يتفّل في وجهه.. فيحيا الروح والوجدان، وليستشهد الجسد، وينزّه الفضيلة عن الترزيل. والعقيدة عن الاستخفاف، وعزة الأسلامية عن الاستهزاء!.

الحاصل

إن المحبة الاسلامية تستلزم خصومتكم. و كيف يصالح جبرائيل مع العزازيل!.. وإن أبله العقولِ عقل من يرى توفيقًا بين احتراصهم ومنفعتهم، و بين عزة الأسلامية ومنفعتها!. وإن أحمق قلب، قلبُ من يتحمل حياةً تحت حمايتهم!. إذ يعلقون الحياة بشرط محال إن يتحقّق. يقولون: "فاحيوا بشرط ان لا يُرى من فردٍ منكم خيانة.. وإلا نخرب و نمحي ذا المعصية وذا العصمة معًا. أفيمكن أن يتفق قلب في قلبٍ من يتلذّذ بخنجر الظلم في كبده؟.. أفيمكن أن لا يوجد

مفسد و فتان في بلدة و قرية وجماعة؟. أم كيف يمكن حياة إنسان مريض مقيّد أخذ من يده عصاه وسلّط على جَنْبَيْهِ مجهّزان بالمخالب والأنياب؟.

أيّها المسلمون! أبعد كلّ هذه الأحوال تنخدعون؟ أبعد ما رأيتم من قربِ درجة شناعة قبحِ صورة الكفرة تستحسنون ما استقبحه الشرع والعقل والمصلحة الإسلامية؟. واستعيذوا بالله من همزاتِ الشياطين.. والتجئوا متضرّعين نادمين متوسّلين برحمة الرحمان الرحيم.

فهرست

المناظرات ٣

معذرة طويلة الأذيال..... ٥

س: أيها الأستاذ! ذهبت إلى الإستانبول و رأيت انقلابًا عظيمًا واقتحمت وقائع مهمة.. فأي هدية جئتنا بها من ذلك السوق العظيم؟..... ١٤

س: كيف البشارة، وقد قيل فانذروا ففيه ضرر؟!..... ١٤

س: فيا سبحان الله ما سمعنا هكذا؟!..... ١٥

س: فحينئذ أجب على شبهنا وأسئلتنا حتى تزول عنا الوساوس؟!..... ١٥

س: ما الاستبداد، وما المشروطية ؟ و أخر: ما الاسترداد وما المشوريط؟ وأخر: كيف ترأس الأرمنيون وتسفلنا، كيف غير المسلم عسكر؟ وأخر: ما الحرية؟ وأخر: للدين ضرر؟ وأخر: الجون ترك كذا وكذا، نخاف أن يضرّونا؟ وأخر وأخر إلى أخرٍ ما أكثر الخلط واللغط والغلط..... ١٥

س: فإليك تعيين القاعدة..... ١٥

س: فإذاً ما الاستبداد، وما المشروطية؟..... ١٦

س:يا للعجب ما ظننّا أن الاستبداد هكذا سمّ قاتل، فللّه الحمد قد تمزّق.. فإذًا ما أحوجنا إلى تفسير ترياقه الذي هو المشروطية. ١٦

س: قد ادعيت دعوى فاستدل؛ ما الدليل على قبح الاستبداد بتلك الدركة، و على حسن المشروطية بهذه الدرجة؟..... ١٨

س: الدواء دواء، لِمَ قُلْتَ أنه قد ينقلب سمًّا؟!..... ٢١

س: قد استسمنت ذا ورم!. ألا ترى أن الحكومة الحاضرة تشابه السابقة في كثير من السيئات وفي الظلم وضعف القوة.. فالمشروطية التي تفسرها ما سَلَّمَتْ علينا، حتى نقول لها أهلا و سهلا ومرحبا؟..... ٢١